

رواية

الغراب المتهم

طارق اللبيب



sudanese novels.com

روايات
سودانية

الغراب المتهم

طارق اللبيب

روايات سودانية

sudanesenovels.com

الفهرس

- الفصل الأول – 4
- الفصل الثاني – 7
- الفصل الثالث – 9
- الفصل الرابع – 13
- الفصل الخامس – 16
- الفصل السادس – 19
- الفصل السابع – 22
- الفصل الثامن – 26
- الفصل التاسع – 29
- الفصل العاشر – 33
- الفصل الحادي عشر – 37

الفصل الأول

دخل يوسف التيمي ديار بني عجلان. وكان يركب فرساً أسوداً. وقد علاه الغبار واخذ منه التعب ما أخذ .. وعند دخوله. لازقة الديار.. قابله أولاد صغار يلعبون في الطريق .. فاوقف الفرس وقال لهم .. يا اولاد. اين هو بيت ورقة بن عابد؟

فقال احد الصبية. انا ابنه ماذا تريد .؟ فقال له يوسف. انا اريد اباك .. قال له انا ابنه .ومن حقي ان اعلم ماذا تريد منه .. فاما ان تخبرني او لن ادلك على بيتنا ..

فقال له يوسف لن اخبرك. وسيدلني على بيتكم احد الصبية الاخرين. فقال له انا القائد هنا. ولن يستطيع احد منهم ان يفعل شيئاً ضد ارادتي.

فقال له حسنا حسنا .. انا معي مال .كنت قد اخذت من ابيك دينا .فاريد ان ارجعه اليه ..

فقال له الغلام وكم هو الدين؟

قال اربعمائة دينار ..

فقال له يظهر عليك اثر السفر والتعب وقد جئت من مكان بعيد .. فقط من اجل اربعمائة دينار؟؟

فقال له يوسف .. الحق حق مها قل اوكثر..

فقال له ان ابي رجل كريم قوم .. وراس قبيلته .. فان عرف انك اتيت من السفر من اجل هذه الدنانير .. فلن يرضى وسيغضب عليك؟

فقال له يوسف .. اذا" دلني ماذا افعل ايها الغلام؟

قال له تعطيني المال وتذهب الى ابي كأنك اتيته في زيارة .. فان سألك عن المال فسأعطيك اياه لترجعه اليه .. فانه بخيل لآخر فيه ..

وان لم يسألك .. تكمل زيارتك وتذهب وانا بعد ذهابك سأعطيه المال .. وبهذا لا يغضب عليك لا ترى منه سوء وتكون قد سددت دينك..

فقال له لاعليك خذ هذه الدنانير وافعل مثلما قلت .. فاعطاه صرة فيها دنانير ..

واشار الغلام الى دار في نهاية الطريق .. وقال تلك دارنا ..

فذهب يوسف الى الدار واستطرق قائلاً .. ياورقة انا يوسف بن صخر التيمي.

ففتح له الباب .. وقال مرحباً بالكريم بن الكرام .. تفضل بالدخول ..

فادخله واخذ بلجام الفرس .. وربطه له في حلقة كانت في الدار ..

قال له لقد جئت لك زيارة محبة وود .. اريد ان أسالك من شئ. هل هذا الغلام الذي يلعب في بداية هذا الطريق مع الصبيان هو ابنك؟

قال له نعم هذا سعيد بن ورقة. قال له هو الذي دلني على الدار ..

فقال له ثم ماذا؟ قال له لاشي غير هذا ..

قال محال ان يدلك سعد على الدار هكذا بدون ان يكون جرى بينك وبينه امر عظيم

فانه غلام ليس كالغلمان .. وانه باستطاعته ان يلوي اراء الرجال عما يريدون ..

واصر الرجل الضيف ان لا يخبر والد الغلام بشي مما جرى لانه يريد ان يعرف

هل الغلام امين ام لص ..

اكمل الرجل زيارته وذهب ..

فجاء الغلام الى ابيه وقال يا ابي هل ذهب الرجل الذي جاءك اليوم؟

قال نعم اكرمناه وذهب في طريقه ..

قال هل كان مستدينا منك شيئا من المال؟

قال له لا لم يكن بيننا شئ من المال انما هو ود قديم وصداقة راسخة ..

قال له يا ابي لقد خدعني الرجل ..

قال له ابوهو كيف ذاك والرجل من اصدق الرجال قولا" .. واوفاهم عهدا"

فحكى له ما حصل .. فقال له ابوه .. لقد اخطأت يا بني ..

ما كان لك ان تفعل هذا. كان ينبغي ان تدله على الدار وكفى ..

لان هذا المال الذي اعطاك .. لا نستطيع ان نصرفه .. لانه ليس لنا فيه حق ..

قال الغلام خذه يا ابي وارجهه اليه متى ما قابلته ..

فاخذ ورقة المال وقال لابنه غداً ان شاء الله سأذهب الى دار يوسف .. واعطيه ماله

وأسأله عن ما قال ..

وعند المساء رجع يوسف الى دار ورقة ..

ونزل فسأله ورقة الم ترجع الى بلادك؟ قال لا ذهب لزيارة صديق اخر وجئتكم راجعا.. لابييت عندك واسافر غداً صباحاً ..

فقال له ورقة لقد اعطاني ابني مالا .. يقول انك اعطيته اياه وهو ديل لي عليك.

قال له يوسف وقد فعلها الغلام ..

قال نعم ان ابني من اكثر الناس امانة واصدقهم حديثاً ..

قال له وانا جئتكم من اجل الغلام وليس من اجل المال .. جئت لارى هل ابنك امين فيوفي بما قال .. ام انه سيأخذ المال ويسكت .. ولكن الغلام حقق ظني وسر قلبي ..

فان هذه الدنانير ليست لك ولا لي .. بل هي له .. تقديرا لصدقه وامانته ..

قال له ورقة. سأعطيه اياها ..

وبات معهم ليلته وفي الصباح ودعه وذهب يوسف الى طريقه ..

فلما اصبح الغلام .. قال له ابوه .. ان الضيف الذي كان عندنا البارحة جاء بالليل وانت كنت تغط في نومك .. فقال ان اعطيك المال تقديرا لصدقك وامانتك ..

فقال له يا ابي .. انا لا ابيع صدقي وامانتى .. بارعمائة دينار..

قال له ابوهو ليس بيعا وانما مكافأة ..

فقال له ان الصدق والأمانة لا تكافؤها اربعمائة دينار ..

قال اذن ماذا؟ قال له فليعطني فرسه وسيفه. أو يزوجني ابنته. وبذلك يكافؤ صدقي وامانتى .. فانهما غاليتان عندي ..

فضحك والده وقال ولكنك صغير على الزواج يا بني .. قال له يا ابي الصغير سيكبر والوعود ستبقى .. فليعدني بذلك ..

انا لا اريد اربعمائة درهم.. فيقول الناس ان سعد ابن ورقة اخذ اربعمائة دينار مكافأة لصدقه وامانتة .. فيظن الناس ان الصدق والامانة بهذه الثمن الزهيد ..

متى ماقابلت صديقك يا ابي .. ارجع اليه ماله واخبره برفضى لصفقته ..

sudanesenovels.com

الفصل الثاني

كان سعد بن ورقة. طفلا لايتجاوز الثانية عشر ولكنه بفهم رجل وبصدق الصالحين وامانة الصادقين حقا" .. كان يتمتع بروح القيادة والسيادة .. وانه كان في لعبه مع الاطفال يلعب لعبة القائد وجيشه

ويحب المبارزة بالسيوف المصنوعة من جريد النخل ..

مرت الايام وذهب ورقة الى سوق كبير يسمى سوق (وضرة) .. للعلم فقط هذه الاحداث تدور في اليمن جنوب الجزيرة العربية.

وبني عجلان من اشراف اليمن. والى الآن يعيشون في مديرية وضرة. التابعة لمحافظة حجة.

ورقة وكان من فرسان الاشراف وهو والد لأربعة ذكور اصغرهم سعد.

ولكنه كان اكبرهم قدرا وفهما وعلمًا وذكاء ..

دخل ورقة السوق الكبير وكان يتاجر في العطور والأزياء التي تأتيه من بلاد الشام .. في السوق قابل صديقا له .. وتحادثا .. في امر يوسف التيمي ..

وما جرى بينه وبين سعد بن ورقة ..

فقال له لقد سمعت هذا الكلام من يوسف يتحدث به عن غلام من بني عجلان .. ولكني لم اكن اعلم انه ابنك ..

قال له ورقة هل تدري ان سعد يرفض المال الذي وهبه له يوسف.

ويقول انه يطلب بنته زوجة. او سيفه وفرسه ..

قال له احلام ابنك اكبر من سنه .. ودوما الأمال تبني .. في الصغر وتثمر في الكبر .. فلا تقل لابنك كلاما يثبط همته .. ويثني عزيمته.

قال له ورقة .. مهما قلنا له من قول يأتينا بحديث يطيش بالعقول ..

انا سأعطيك هذا المال .. لانك ستقابل يوسف التيمي .. فاخبره برفض ابني. وشروط قبوله المكافاة ..

يتحادثان ويضحكان ..

لما رجع ورقة الى الدار وقابل ابنه .. قال لي يا ابتي هل اعطيت الرجل ماله؟

قال لا ولكن ارسلته اليه ..

قال ابنه متحسرا .. واحسرتاه .. كنت اتمنى ان تعطيه اياه بنفسك وتخبره بشروطي .. حتى تنقل لي تعابير وجهه ورده على كلامي ..

قال ورقة يابني .. اني اسألك سؤالاً ..

لماذا تطلب زواجك من بنت يوسف .. واهلك الاشراف لهم من البنات اجمل ما خلق الله ..

قال له يا ابتي .. ان الرجال لايتزوجون النساء من اجل الجمال .. ولكن من اجل الرجال الذين رعوهم .. وادبوهن .. وربوهن ..

فان صديقك هذا .. اعجبني سمته .. وابهمني منطقته .. وحتى فرسه الذي يمتطيه فرس الفرسان ..

رجل يعطي المال للامين .. ويدعي الدين ليعرف مكان صديقه .. هذا رجل لو كانت له بنت ستكون هي مطلبي ومرادي ..

تبسم ورقة وهو يهز راسه متعجبا ..

وصل الخبر الى يوسف التيمي .. واعطاهو الرجل ماله واخبره برفض الصبي .. وشروطه ..

لم يتأخر يوسف التيمي فركب وجاء الى دار ورقة مرة اخرى ..

ولما دخل عله قال يا صديقي اليوم جاء يوم اختبارك .. اني اريد الغلام ..

قال ماذا تريد منه .. قال له احضره لي لاقول ما اقول امامه فوالله ان لابنك عقلا يوازي عقلي وعقلك ..

لما جاء سعد ووجد الضيف مرة اخرى .. سلم عليه وقال له .. اراك اكثر الخطة الينا .. لعله ان يكون دينا اخر ..

قال لا لقد جئت هذه المرة من اجلك .. ساعطيك سيفي .. وفرسي ..

وازوجك بنتي هل انت مستعد لذلك ؟ ..

ورقة ينظر ويستمع والحيرة تملأ راسه ..

قال الغلام .. اقول الصدق لست مستعدا لامتطاء فرسك فانه جسور ..

ولا لحمل سيفك فانه ثقيل .. ولا زواج ابنتك فاني صغير ..

ولكن ان تعدني بذلك فسيكون سيفي عهدة عندك. وفرسي تمتطيه حتى اتيه .. وعروسي عندك تربيتها حتي اناهر الحلم. والحق ملحق الرجال ..

قال يوسف حسبي الله ونعم الوكيل .. ماهذا الغلام ياورقة؟

قال له انه امامك وتكلم. اما انا فليس لي كلاما ازيد عليه.. وانا موافق على ما قال..

قال يوسف التيمي .. يا ايها الغلام هل تذهب معي الى بلدي .. ادرك على ركوب الخيل ومبارزة السيوف .. واصنع منك فارسا لا يقهر .. وجلمودا لا يلين ..

فان اباك رجل تشغله التجارة .. لا يفرغ ليعطيك مما سأعطيك ..

ها ماذا تقول ..

قال له سعد اما انا.. فهذا يوم فرحتي .. اتابع فرسي .. واتعلم حمل سيفي .. وارى خطيبي ..

ولكن القول مايقول ابي فان وافق فاردفني خلفك الان ..

قال ورقة والله ما عندي شك في قدرتك يا يوسف .. واني اعلم انك ستصنع منه فارسا تخافه الكماة ..

ولكن دعني استشير امه .. فانه صغيرها ولا تقوى على فراقه ..

كسره

(كدي في راككم ممكن الحاجة تدق جرس؟ ولا بتوافق؟)

الفصل الثالث

ذهب ورقة الى زوجته واخبرها.. ودار بينهما مايلي..

قال لها: هل تعرفين يوسف التيمي ..

قالت له نعم اعرفه صديقك فارس فرسان بني فسيله..الذي قاد جيشه لقتال

هولاء الانجاس الروافض. ولما سمعوا بمقدمه دخلوا بيوتهم ولبسوا براقع النساء اليس هو؟

قال لها نعم انه هو. وهو يطلب مني ان ارسل معه سعد ليعلمه ركوب الخيل ومنازلة الابطال. وجئت اطلب اذن امه.

قالت له وماذا تريد الام؟ الا ان يكون ابنها فارساً مثل يوسف التيمي

قل ان ابني ولد من صلب الرجال. وترى بحليب ام. لم ير اجنبي منها زينة .. وقل له ان ابني ماخل جوفه من مال الحرام درهما ..

قل له ان ابني لايبكي كالاطفال .. ولا يتدلل كألنساء .. وانما ربيته ليصير اشما عاليا .. مرفوع الراس .. بارز الصدر .. محمود المقام.

تحمّر عيونه اذا حزن .و يتمعر وجهه اذا غضب .. قل له ان ابني اذا تكلم صمت له الحكماء .. واذا خرج تمنّت ان تلد مثله النساء ..

قل له ان ابني زينة الحي. ونبراس الديار .. ولن يرى منه الا مايسره.. وقد كنت اتمنى ان يجد ابني مثل يوسف ليصقله.. ويجعله سيفاً يفل الحديد..

ناد لي ابني لاوصيه ..

تبسم ورقة من حديث زوجته وجاء ليوسف.

وقال له ابشر فان امه فرحت كفرحه. وقالت كذا وكذا. فقال يوسف لا ادري اعجب من الغلام ام من امه .. الان زال استغرابي من حنكة الغلام.. مادامت امه كهذا..

دخل سعد الى امه .. يمشي كمشية الفرسان .. ويتبسم تبسم المنتصر. فلما نظرت اليه .. قالت له:

يابني غير مشيتك .. وارفق بنفسك .. فان الغرور قاتل .. وان الاعجاب بالنفس .. مذموم ولكن الثقة بها محمودة .. فمن وثق في نفسه .. تواضع .. ومن نقصت نفسه عن مايريد تكبر وتصنع ..

يابني ان الصدق في القول منجاة لك من المهالك .. ولو كنت ترى الموت فيه .. وان الكذب مهلكة لو كنت ترى فيه النجاة ..

يابني انك ذاهب الى دار ليست بدارك .. والى اهل ليسو بأهلك ..

فلاترفع صوتك .. ولا تظهر غضبك .. ولا تكثر التلفت في بيوت الناس .. ولا تجلس حتى يؤذن لك ..

واذا جلست فلا تجلس بمحاذاة الكبار .. اذا جعت فلا تطلب الطعام

واذا نعست فاطرد عن عينيك المنام .. حلا يناموا

يابني لا تسأل عما لايعنيك .. ولا تكلم في ما لايمسك ..

يابني اذا مشيت فاسرع الخطى .. واذا ضربت فاضرب بقسوة ..

واذا عطفت فاعطف بعدل .. يابني ان الكبير حرم فاحترمه .. وان الصغير ضعيف فاحرمه ..

يابني حارب الراحة فانها ام الكسل .. وحارب النوم فانه والد الفشل .. يابني لاتتمنى ولندكن اسعى لما تريد .. فان الاماني خواطر العاجز.

ولكن العزيمة والمضي فيما تأمل هو شأنك ..

يابني .. اريد ان اسمع بك مقداما ولو مت .. ولا اريد ان اسمع عنك جبانا ولو كنت حيا معافى .. ولا تتذكر امك كفتاه تحن الى امها ..

وذا ذهبت ماشيا في مقصدك فلاتلتفت الى الوراء..

ارحل في امان الله ورعايته ..

قال لها ابشري يا اماه لقد ولدت رجلا. لن يخيب ظنك .. ولن تجدي فيه حسرة ..

وودعها ورحل مع يوسف التيمي ..

ولما وصلا الى ديار فسيلة. تفاجأ سعد بن رقة بما وجد .. وجد ان يوسف .. زعيم في قومة .. كثير الابناء له سبعة من الولد ومن البنات مثلهم .. اي اربعة عشر بطنا.

ولما رأوا اباهم قد جلب معه صبي .. علت الدهشة الاستغراب على وجوههم ..

اما الاولاد. مصعب وجابر والبشير. ومحمد الاعرج. ويونس والفيصل. واليسع قلب الاسد ..

واما البنات .. فسلمى ونعمى واروى وليلى. ونسيبة ورفيدة والعنود..

اخذ اياما ليتعرف بهم وانهم من زوجتين .. واخذ فترة ليعرف اي من الابناء ابن اي من الامهات ..

وفي اول دخوله في عصر الجمعة في الرابع من شهر المحرم.

قال له يوسف .. عليك ان تختار في البيتين .. مع ايهما تريد المقام

قال له .. اريد ان اقيم في اول ايامي.. سبع ايام مع هولاء وسبع مع هولاء .. وسأخبرك بعدها بمقامي الدائم ..

قال له احسنت فبمن تبدأ ..

قال له ابدأ بما بدأت به انت .. زوجتك الاولى .. وابنائك الكبار ..

قال له احسنت ايها الغلام ولكل معضلة لك حلولا..

فاقام بن ورقة مع ام الكرام .. زوجة يوسف الاولى .. وعندها خمسة اولاد وبنتان ..

مصعب وجابر والبشير ومحمد الاعرج .. وبناتها.. نسيبة ورفيدة ..

وكلهم اكبر منه سنا ..

وفرحوا به واكرموه .. وعلموا من ابائهم انه ابن صديقه .. الذي سمعو به كثيرا .. رجل تاجر من اشراف بني عجلان ..

فاصبحوا من اول الايام يسمونه الشريف ..

واحبوه واعجبوا به الابناء والام .. وتمنوا ان يقيم معهم بقية مدته

ولكنه كان شرط ..

كان يتمتع بادب الكبار وبحكمة العلماء .. وذكاء ليس له مثيل في ابناء عمره ..
وفعل كما اوصته امه .. اراد ان يسأل يوسف التيمي .. عم من من البنات جعلها له .. في وعده ولكنه فضل السكوت ..

ومرت الايام واكمل الاسبوع الاول .. ثم قال له يوسف اليوم يوم انتقالك الى البيت الثاني .. ام انك نسيت؟ .. قال
لم انس .. ولكني اريد منك الاذن ..

ارتحل يوسف الى بيت زيدة ام اليسع قلب الاسد هذا ولدها الكبير واصغر منه

يونس وهو في عمر سعد الشريف .. ثم الفصيل .. اصغر الابناء ومازال يحبو .. وبناتها اروى وسلمى ونعمى وليلى
والعنود .. وكلهن دون البلوغ الا اروى فهي في السابعة عشر ..

ولكن لم يجد في هذه البيت راحته .. فان الاطفال ضايقوه .. وأساءوا معاملته .. وكانوا يلعبون باغراضه .. ويرشون
عليه الماء وهو نائم وهم .. يلعبون به ويسخرون به طول الوقت ..

ولكنه كان صابرا ليكمل اسبوعه .. ويرتحل الى بيت ام الكرام التي اكرمتها هي وابنائها الكبار ..

لما كان يومه الاخير .. وقال لهم سأرتحل منكم الى بيت ام الكرام

بكت احدى البنات .. وتقاطرت دموعها وهي تقول لامها امنعني ياأمي من الذهاب .. ودعيه يقيم معنا .. فاني احبته
..

قالت لها امها يابنيتي .. لكل احد مقام يجد فيه راحته .. وانا اريده ان يرحل الى هناك .. ولا اريده ان يقيم معنا هنا ..
فما ذهبت الطفلة التي تسمى سلمى .. وهي الثامنة من عمرها ..

استفرد سعد بالام وقال لها .. هل لي ان أسالك سؤالاً؟

قالت له سل ما بدا لك ..

قال لها لماذا تريدني ان ارحل عنك الى ابناء زوجك .. وفي علمي كل ضرة تريد ان تتميز على ضررتها .. فما الذي
جعلك تتنازلين عن هذا الحق؟ ..

قالت له انك غلام صغير في عقل رجل كبير .. حتي نظراتك توجي الي انك في الثلاثين من عمرك .. فبصدق لا
اظمن وانك تسرح مع بناتي وتمرح .. هل تقول الصدق اذا سألتك؟

قال سلي .. قالت له .. هل اعجبك شئ في بناتي؟؟

فتبسم وقال لها اصدقك القول .. فان سلمى الباكية هذه قد شغلت قلبي .. وشغلتنني في منامي واحلامي ..
فاسجعلها لي .. ولا اريد سواها .. فاما ان ارحل واما ان تحجبها مني ..

فاني اذا رأيتها خفق قلبي وارتجفت اطرافي كقصة في مهب الريح .. قالت ارحل ارحل .. قبل ان يسمعك احد .. الا
تستطيع ان تكذب وتخفي هذا القول؟

رحل ابن ورقة الى ام الكرام .. وزيدة اخبرت زوجها بما قال الغلام

فغضب يوسف التيمي غضبا شديداً

ونادى سعد فجاء سعد ووقف امامه .. ووجه يوسف التيمي يتقطع من الغضب ..

sudanesenovels.com

الفصل الرابع

نظر ابن ورقة الي عيني يوسف.. ولم يرف له جفن.. ولم ترتعش له يد .. كان ثابتا لا يظهر عل وجهه شي من الفرع..

قال له يوسف ماهذا الذي اسمعه يافتى؟

قال هل اخبرتك زوجتك بقولي؟

قال نعم .. وهل انت تعترف بما تقول؟

قال له ليس هنالك امر عيب فانكره .. ولم اقل شيئا يستحق مني الخوف من غضبك.. سألتني زوجتك عما اشعر فاخبرتها بالحقيقة .. انتم اهل الشأن.. ان كان ماقلته يستحق العقاب. فعلى الدنيا السلام .. من اجل هذه النظرات التي تنظر بها الي..

يكذب عليكم اولادكم .. وينكرون مايفعلون خوفا .. فتدفعونهم الى الكذب دفعا .. لكن لن تجدني جبانا لو قتلتنني ..

قل يا عماه .. ماذا اغضبك في قلبي؟

لانني شعرت في قلبي شعورا لا اتحكم لي فيه .. ام لانني تكلمت بالصدق عما شعرت؟

قال له يوسف .. كان لك من اول ان شعرت.. هذا الشعور ان تغادر الدار ..

قال له لماذا؟ انا لا اخاف على احد من نفسي ..

لا تسول لي نفسي امرا يجر علي اللوم .. يصغرنني في اعين الرجال ..

انا لا اخون من يطعمني في داره ..

انقضت فترتي ولم ير مني اولادك غير البر والاحسان.. واحتمال الاذى والصبر المتواصل ..

كل هذا الحديث يدور بين سعد ويوسف وزبيدة تنظر ..

التفت اليها زوجها يوسف وقال لها. هل رايت منه ما يجعلك تشكين في شي؟

قالت اللهم لا.. ما لغتني شي .. غير وعيه الزائد .. وعقله الراجح .. فرايت انه ليس كالاطفال .. فانتابني الخوف منه فسألته ..

قال له يوسف.. يا بني ليس لدينا عليك مأخذ حت نعاتبك .. ولانستطيع ان نرميك بسوء لم تفعله فنعاقبك .. ولكن ابتعد عن اطفالي ..

قال له سعد سافعل ولكن هل بشي قبل اغادر محكمتك؟

قال قل .. انا اسمع ..

قال له يا عماه لقد وعدتني بتزويج بنتك .. وانا قد اخترت سلمي

فاريدك ان تجدد العهد لي بها تحديدا .. ولا اريد غيرها ..

قال له يابني ان الاوان لم يئن لهذا الكلام .. ونحن اتينا بك للتعليم ..

قال له ولا يمنع ذلك. ان اعلم من هي شريكتي في حياتي ..

قال له يوسف .. هب اني واقفت لك عليها.. ثم كبرت ورفضتك .. ماذا تفعل؟؟

قال له تكون انت قد افيت بعهدك .. ولكن الله لم يقسم لي فيها نصيب ..

فليس عليك لم بعدها ملامة ..

قال له اقول لك حسنا .. ماذا تقولين يا ام سلمى؟ .. قالت له

انا لم اعده بشي .. ولن اعترض اليوم على عهدك له.. ولكن لي كلمتي في وقتها .. لكل حدث حديث..

ارتحل ابن ورقة الى دار ام الكرام .. كان بين الدارين .. سبعمائة خطوة حسبها سعد يوم ارتحل ..

اقام ابن ورقة مع ام الكرام اربعة سنوات .. كان يحبها حبا جما .. يحترمها.. فمثلت له امه وعطفت عليه واحبته .. كانت تؤثره بالطعام الجيد على اولادها .. اذ انه اصغر من في البيت ..

كان اولاد ام الكرام فرسان اشاوس لايشق لهم غبار ولا تلين لهم قناة

ولا يستطيع المحاربون مجابهتم في ساحات الوغى ..

في هذه السنوات التي اخذها سعد تعلم كل شي .. فكان يخرج لمجالس العرب فيسمع العلم والفقه والأدب الحكمة والشعر والقصص .. وتعلم فنون القتال واسرار الحروب من يوسف التيمي ..

وتدرب كثيرا مع ابنائه المحاربين الافذاذ ..

وكان ذكيا لبقا لماحا.. لما بلغ السادسة عشر من عمره لم يكن احد في البقاع والاصقاع يستطيع منازلته ..

لكنه كان دائما مشغول البال بسلمي.. التي منذ ان خرج من بيته لم يراها ولا مرة ..

حتي في يوم موت اخيها جابر .. ابن ابيها توفي في الثلاثين من عمره .. بسبب الحمر التي اجتاحت اليمن في تلك الايام ..

وكانت تسمى حمى السحايا .. وهو السحائي المعروف ..

لم تخرج سلمى في وفاة اخيها .. ولم تحضر جنازته.. لم يستطيع سعد ان يسأل عنها طيلة تلك الفترة ..

كل اخواتها الصغار والكبار يخرجن .. الى العراء ويذهبن الى الجوار والاعراس ..

الا سلمى .. وكل ما يريد سعد ان يسأل عن سبب عدم خروجها.. كأن شيئا يمسكه ويمنعه .. ولكن جل تفكيره .. يقول انهم ربما يمنعونها الخروج خوفا عليها مني ..

في تلك الفترة كانت الحروب في هذه المنطقة .. تتلاشى وتضمحل الا غارات هنا وهناك.. من طوائف الشيعة الروافض على بعض القبائل السنية ..

وكان يوسف التيمي قائد الجناح العسكري في السنة .. وكان ابن عمه القاسم بن عبدالله التيمي .. من جهابذة العلماء الذين كانوا ينيرون الليالي بعلومهم الغزيرة ..

وكان ايضا بعض الصعاليك البدو يعتدون على الابل ويسرقونها

وكثيرا مايقطعون الطريق على المسافرين والتجار فينهبون اموالهم ويسوقون ابلهم .. وبعد ذلك اما يقتلوهم او يتركوهم في الصحراء للموت بالعطش ..

لما بلغ سعد السابعة عشر من عمره وقد قوي عوده .. وسمق جسده .. فكر في الرجوع الى اهله ..

تغيرت فيه كثير من الطباع .. فاصبح كثير السكوت .. يطيل النظر الأرض .. كثير الحياء والخجل ..

جلس يوما في الصباح امام يوسف التيمي .. ورأسه مطأطا الى الارض بكل ادب ..

وقال له ياعماه .. منذ شهر وانا اريد ان اتحدث معك ولكن الحياء منك يمنعني .. فاليوم جررت الغطاء على قلبي لاختطبك .. ياعماه.

. لقد اكرمت نزلي .. وعطفت علي عطف الوالد على الولد .. وربيتني كائني من صلبك .. ما رايت منك ظلما .. ولا بخلا .. ولا سوءا .. فاصبحت عندي بمقام ابي .. وائني لا اقوي على فراقك .. ولا امي ام الكرام .. ولا اخوتي .. ولكن لكل امر منتهى .. ولكل مدخل مخرج .. الفترة التي رماها .. تمت

ونلت الهدف .. فقد علمتني .. ماجئت من اجله .. وما لم أت من اجله

فلم اكن اعلم اني سأتعلم الفقه والعلم والادب والشعر .. علاوة على فنون القتال .. فكم من الفضل لك علي .بعد الله .. وان لساني يخذلني ان اوفيك شكرا .. اني اطلب الاذن بالرحيل الى داري وانا ملتفح بالخجل ومتسريل بالحياء..

فقال له يوسف التيمي .. لقد اكملت تعليمك .. واصبحت بطلا تهابه الفرسان .. وجبلا تخاف منه الرياح ..

ولكن قبل ان تذهب نحن عندنا .. دين عليك نريد ان تقضيه .. وعندك معنا وعود نريد ان نوفيها معك ..

فلما قال له ذلك فرح سعد فرحا عظيما .. اخيرا سيهنا بقاء سلمي التي طالما اشتاقت نفسه لرؤياها ..

قال له اما الدين الذي عليك .. هو ان بني سهيل جيراننا قد اغار عليهم بدو من جيئة صيعر ..

وقادوا منهم ثلاث من اعرق الابل وانقاها ..

وان اخوك البشير اراد ان يلحق بهم ويرد لبني سهيل ابلهم .. فهل تستطيع ان تركب بدله وتذهب الي هولاء الصعاليك البدو .. ترجع لبني سهيل مالهم؟

قال سمعا طاعة ياعماه .. ساذيقهم مر العذاب .. وسانزع منهم الحق الذي سلبوه ..

قال اركب فرسي الذي وعدتك به .. واحمل سيفي الذي وعدتك به ..

انتصر عليهم ثم سيفي وجوادي حلال عليك .. سواء نجحت في مسعاك ام لم تنجح ..

قال له ياعماه ماشأن الوعد الثالث..

قال انا علي وعدي لازوجك سلمى .. ولكن اخشى ان تنكص انت عهدك .. وتغير مطلبك .. فخير لنا ان نسكت.. ونترك هذا الوعد لئلا يكون لك امتحانا عسيرا يابني ..

قال قل ياعماه .. فانك لن تجدني جبانا ولا عاجزا ..

قال يوسف يابني ان سلمى مريضة منذ اربع سنوات ..

الفصل الخامس

لما سمع ابو ورقة عن مرض سلمى.. ارتعب وعلاهو الخوف والشفقة عليها ..

وقال ليوسف .. اخبرني ياعماه مم تشكي سلمى ..

قال له انها يتملكها الخوف.. كلما خرجت من غرفتها.. وترتعد فرائصها .. وربما تصرخ ويغمى عليها .. من شدة الخوف ..

ولكنها في غرفتها لاتشتكي من شي .. تأكل وتنام جيدا .. وتصلي فروضها.. وتتنفل.. وتقرأ القرآن .. حتى انها حفظت كتاب الله كاملا ..

ولكنها لاتستطيع الخروج من قوقعها ..

قال له ولكن ياعماه ما الذي يخيفها ؟.. قال له هي تذكر انها كلما خرجت من غرفتها .. ترى غرابا" مخيفا يطاردها.. حتى تدخل غرفتها .. وهي على يقين انه مرسل اليها ليؤذيها .. ولكننا لم نرى هذا الغراب يوما.

وكثيرا تتخيل اشياء.. لا واقع لها وترى اشخاصا ..

ونعتقد انها تتوهم الأمر.. وهي مجرد خيالات.. لا علاقة لها بالواقع ..

وقد سعينا لها بكل سعي .. ولم نجد لها دواء ..

قال له ياعماه هل لي ان اراها قبل ان اسافر؟

قال اذهب ال مهمتك المكلف بها .. وبعد ان ترجع منتصرا باذن الله

ونشاورها في لقاءك.. فان سمحت لنا اذنا لك ..

قال له سمعا وطاعة .. الان ياعماه لابد ان انتصر.. واتي بالابل وانا سليم معافى ..

قال له يوسف.. لابد ان تنهي مهمتك قبل اسبوع.. حتى تحضر عرس اخيك. الاكبر بعد عشرة ايام ..

قال له ان شاء الله .. ساكمل المهمة في اقل من اسبوع

المسيرة ثلاث ايام ذهابا وثلاث ايابا" .. وساتخلص من اللصوص في يوم واحد .. بأذن الله ..

وركب سعد بن ورقة.. وعمره حينها في نهاية السابعة عشر .. ولكنه في جسد فارس .. وقوة محارب عظيم ..

وركب الفرس الاسود.. الذي كان يراقبه من خمس سنوات .. صحيح ان الفرس اصابه الوهن.. ولكنه مازال جموحا لايقهر ..

وحمل سيف يوسف التيمي .. والسيف الذي خاض اكثر من ثلاثين حربا ما بين صد وغارة. حمل ابن ورقة معه الزاد الكافي.. وماء في شن (سعن) ..

وركب الريح.. وتوجه في اتجاه الشرق الشمالي.. الى اولئك البدو المتفلتين .. وكان يعرف الطرق .. فهو بن البادية الذي يعرف اسماء الجبال والوديان .. فلن يضل في طريقه ..

بعد مسيرة يوم كامل .. وفي المساء بعد ان اسدل الليل ستوره .. وتسربت الارض بغطاء الظلام .. تعب ونزل منزلا عل بطن وادي ..

وربط فرسه .. وصلى المغرب والعشاء.. وافترش بردة كانت معه واضجع لينام .. فسمع اصوات قريبة منه ..

اصوات غناء وطرب.. وصفير وصياح غريب.. لم يسمع مثله من قبل ..

فقام وتلفت يمينا وشمالا.. ولم ير احد ولكن الاصوات قريبة جدا ..

فعرّف بما لا يدع مجالا للشك.. ان هؤلاء هم الجن .. لان تلك الاودية معروفة انها مأهولة بالجن .. فهي تسمى ربع الارض الخالي ..

وفيها وادي عبقري.. ووادي الهواشير .. وتخوم الجن .. وجبل الشيطان ..

وكل هذه التسميات.. تدل على الناس رأوا فيها الجن.. فاطلقوا على البقاع هذه الاسماء ..

قام سعد ابن ورقة من مكانه.. وحل رباط فرسه .. وذهب الى وادي اخر ..

ولكنه مالبث كثير.. فسمع تلك الاصوات تقترب منه.. مرة اخرى ..

فصاح فيهم.. وقال اذهبوا بعيدا.. فاني اريد ان انام.. اليس لديكم اكرام لضيف؟ ولا عابر سبيل؟ .. اهكذا ترعجون المسافرين؟

انصرفوا الى مكان اخر .. فقال له احدهم .. انت جئت الينا .. ونحن لم نأت اليك .. فارتحل ..

قال له ان كنت رجلا حقيقيا.. فاطهر نفسك ولا تتكلم معي مختفي مثل الجبناء.. فظهر له رجل في الثلاثين من عمره.. في بنية قوية .. وجسد ممشوق .. تلمع عيناها كأنها جمرتين .. ويحمل سيفا يبرق كالذهب.. وقال له انت تصفني بالجبان في ارضي وامام قومي؟

والله لن اتركك .. هلموا ايها الابطال .. فظهر قريب الاربعين من الفرسان على هيئة هذا الاول .. فقال لهم ابن ورقة من اي القوم انتم .. قال له نحن من قبيلة فزام .. الم تسمع بابي نهشل الفزامي ..

قال لا والله ماسمعت بالرجل ولا بالقبيلة ..

هل انت من الجن ام من الانس .. فقال له نحن لانجيبك على سؤال ايها المعتدي ..

اقبضوا عليه .. فاجتمع الفرسان على ابن ورقة .. فاستل سيفه وبدا يضرب يمينا وشمالا .. ولكن الضرب لا يصيبهم .. فهو يضرب في الهواء وهم يضحكون عليه .. وحتى الان لم يعلم هل هم جن او سحرة من سحرة الصحراء ..

ولكنهم استطاعوا ان يمسكوه به.. فلما مست ايدهم جسده انشغل ولم يستطع المقاومة .. واصبح لا يستطيع ان يحرك يدا ولا رجلا .. ثم اخذوه ووثقوه بالسلاسل.. وحملوه وساقوه فرسه الى جبل وادخلوه هو والفرس في غار في بطن ذلك الجبل .. ثم اجتمعوا على صخرة كبيرة .. فسدوا بها الغار حت لا يراه احد لو مر بالجبل

وليس هنالك اصلا انسي يمر بالمكان .. من مئات السنين .. وبعد ان اغلقوا عليه الغار هو وفرسه تركوه وذهبوا .. والوقت ليس فيه قمر مكتمل ..

فلما التفت ابن ورقة الى لم يجد اي وثاق ولا اثر ربط على يديه وقدميه .. فما اصبح على الصبح رأى انوار الفجر تلوح من اطراف الصخرة التي سدت الغار .. قام وصلي واخرج شيئاً من زاده فاكل واعطى الفرس من زاد كان يحمله له من الحنطة والشعير .. واكل.. وشرب قليلا وسقى الفرس ..

ولكن هذا الزاد والماء لن يدوم طويلا فكان عليه ان يقتصد فعلا ..

فلربما يطول به امد الحبس.. في بطن هذا الجبل الغريب ..

لما اضاء النهار.. ودخلت اشعة الشمس من اطراف الصخرة .. اضاء الكهف قليلا .. فقام ابن ورقة ليحرك الصخرة .. ويخرج .. ولكنها كانت كبيرة جدا.. لا يستطيع .. هو ولا عشرة من امثال قوته ليزحزحوها ..

فلما عجز من تحريكها .. بدأ يحفر الارض تحتها لتسقط .. ولكن كانت الرمال قليلة.. فلما نفذت الرمال .. تبين له الصخرة موضوعة على كبد الجبل باحكام .. فليس هنالك سبيل للحفر .. وجلس يفكر .. ماذا افعل؟ .. وما هذا الذي ابتلاني الله به ..؟

قام وربط حبل الفرس في اطراف الصخرة .. واخذ بلجام الفرس الى الداخل.. لعل الفرس يستطيع ان يحرك الصخرة.. ولو قليلا .. لكن هيهات .. ذلك الحصان الاسود القوي.. عجز عن تحريك الصخرة ولو قيد انملة ..

لما تقطعت السبل به.. وانتهت كل حيلة في طريق للخروج.. من هذا النفق .. اتجه الى الله .. وقال اللهم انت القائل .. (امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء) .. اللهم اني مضطر .. والم بي السوء .. فاجب دعوتي .. واكشف السوء عني ..

وجلس ينتظر الله ..

ومر اليوم الاول والثاني والثالث .. وهو لا يزال على الدعاء

والماء على شك ان ينفذ .. والزاد اصبح شحيحا ..

وصلى ابن ورقة في هذا الغار الى الان خمسة عشر فرسا .. وقرأ كثيرا من القرآن ودعاء دعاء كثيرا لا يمل ولا يكل .. وقال مرة في مقال ..

وهو يشكي الى الله تعالى حاله وهو في بطن الغار..

واذا انتهى عزي وشاقت قوتي ..

فالله يرحم من يبذل لونه

فهو الذي اجري السحاب بمائه..

وهو الذي خلق الانام وكونه ..

يا ملجئي بالعفو اطلب راجيا ..

اجعل لعبدك مخرجا كن عون..

احس ابن ورقة في هذا الوقت بتعب شديد .. وغلب عليه النوم.. فنام ..

ثم راي في المنام انه الصخرة قد انفرجت.. وخرج منها وذهب.. الى البدو وقابلهم.. وهم سبعة .. وقتلهم.. وهزمهم واستسلموا له بصلح ..

وسلموهو ابل بني سهيل .. ورجع الى الدار .. ورأي سلمى وكانت في جمال لا يضاهاى .. وتعافت من مرضها .. وتزوجها وخرجت معه في ابهى حلة .. حتى اشرقت الارض من حولها من شدة جمالها وبريقها .. وكان سعيد سعادة لا تشبهها سعادة .. ولكنه فجأة استيقظ من نومه .. فرأى انه مازال محبوسا في الغار .. فانطبق عليه الهم بعد الفرح الذي كان قد احسه في منامه ..

الفصل السادس

لما انسدت الأمل علي بن ورقة والايام تمر .. والماء ينفد والزاد قد نفذ بالفعل.. لم يستسلم .. ولم يترك الدعاء وفي صباح اليوم الخامس .. سمع حركة خارج الغار .. وضجيج ونقاش حاد .. فاقترب من الصخرة ونظر من فتحة كانت بين الصخرة وشفير الغار .. فرأى هيئة الرجال الذين اعتقلوه ولكن معهم شيخ كبير يلبس لباسا وقورا ..

ويكتسي وجهه بالوضاء والنور .. وهو غاضب .. يقول اسرعوا وازيحوا هذه الصخرة .. فوالله لو مات هذا الرجل لاقتلنكم واحدا واحدا ..

فانفجرت الصخرة ورأهم يزحزونها من مكانها كانها قطعة خشب خفيفة لم يبذلوا كثير جهد في ازاحتها .. فخرج بن ورقة وكان الوقت صباحا بعد الشروق بقليل ..

فاخذ بفرسه وخرج .. فقال له هذا الشيخ الذي يظهر انه زعيم قبيله

ماذا حدث؟ لماذا حبسك هؤلاء السفهاء هنا؟

قال له والله يا عماه لا ادري ذنبي ..

قال له ماذا قلت؟ يا عماه؟

قال له نعم انت في مقام عمي .. ولا بد لي ان اخاطبك بالاجلال والاحترام ..

قال له يابني .. والله هؤلاء ابنائى وابناء اخي .. لم يتكلم منهم احد في يوم مثل كلامك المحترم .. من علمك ومن رباك؟؟ .. هيا هيا .. تذهب معنا الى ديارنا .. فنكرمك ونقتص لك بحقك منهم ..

قال له يا عماه ان امامي سفرا طويلا .. واياي قد انقضت في هذا الحبس .. فاخشي ان يحسب الذين ارسلوني اني ميت ..

فقال له لا .. والله لن اتركك تذهب بحالتك هذه .. فانت متعب كمريض ولا تقوى على السفر .. هيا .. فاخذه واركبوه على الفرس المنهك ايضا..

وذهبوا به الى مكان ليس ببعيد ..

ووقف الشيخ على تلة ثم صاح .. بكلمة غريبة .. فتطايرت الرمال كان اعصارا هب عليها .. وفتحت ابواب عظيمة .. تؤدي الى ابار تحت الارض ..

فدخلوا فيها وادخلو معهم ابن ورقة.. وهو يكاد ان يطيش من الدهشة والخوف .. ولكنه كان مطمئنا لذلك العجوز ..

ولما تمكنوا داخل الارض.. راي مدينة كاملة مبنية تحت الارض وفيها ما فيها من العجائب والغرائب ..

فدخل في مكان في وسط المدينة وقصر منيف .. يكاد يأخذ الابصار من بياضه ..

ودخل ووضعوا له طعاما في هذا القصر .. وفتيات يخدمن ويوزعن الطعام .. ويخدمن الضيوف كانهن الدراوي ..

والذي يظهر ان هذا الشيخ الكبير مالك هذا القصر .. ويتصرف كانه ملك ..

فلما اكل ابن ورقة من الطعام الذي لاول مرة يراه.. ويتذوق طعمه الشهي .. قال له الشيخ انا ملك الجن في فزام .. وهؤلاء هم خدام المملكة في هذه القبيلة .. نحن مسلمون لانعتدي على احد .. ولكن هؤلاء السفهاء حادو عن الطريق.. فاصبح همهم شرب الخمر ومعاقرة النساء والغناء في الاودية والصحاري .. والله يابني لم اكن اعلم بحبسك حتى اختلف هذان الاخوان .. فوشى احدهما بالآخر .. وهذه اول وشاية يكون فيها الخير .. ونجاة مسلم من الموت .. والله لقد غضبت من تصرفهم معك غضبا شديدا .. وهأنذا اعتذر اليك عما فعلوا ..

قال له لاعليك ياعماه .. هذه اقدار الله علينا.. ونحن في دمة الله وبحكمه وقضائه ..

قال له خذ راحتك هنا في قصري .. وان شئت فتنزهه في ارجاء المملكة.. فلن يمسه احد من الجن فانت في عهدي .. حتى اتيك المساء .. فان لي مجلسا" في القضاء قد يطول .. واذا اتاك رسول مني يستدعيك فاتني معه..

اضطجع ابن ورقة على فراش وثير .. لم ير مثله في حياته .. وهو ينظر الى سقف القصر ونقوشه العجيبة .. وينظر الى تلك الجوارى التي ملاهن الخالق رونقا وجمالا .. ونضافة وزينه .. شي لم تره عيناه من قبل ..

ولكن كان مرهق وعيونه من النعاس كأن فيهن الحصى والرمال ..

فاغمض عينيه وسرقتة عيناه فنام ..

نام حتى صلاة الظهر فسمع أذان من اجمل الاصوات الذي سمعها في حياته .. فقام وتوضأ وصلى. فجاءه أحد الفرسان وقال له ان الملك يدعوك الى مجلس القضاء .. فجاء ابن ورقة وجلس امام الملك.. وكانت الحاشية في مجلس دائري وكان الوزراء يلبسون ملابس زاهية .. ويتمتعون بصور جميلة ..

قال له الملك هل قلت اسمك سعد بن ورقة؟

قال له نعم .. قال له هل انت مقيم مع يوسف التيمي؟ قال نعم ..

قال له من الذي ارسلك؟ قال ارسلني عمي يوسف الى قبيلة كذا من اجل كذا وكذا ..

قال له ابشر سنعاونك في ذلك ..

ولكن الان نحن بصدد الظلم الذي تعرضت له.. فقد اقر ابنائي وابناء اخي انهم مذنبون بحقك .. وانا حكمت عليهم بالسجن خمسة اشهر والتجوع خمسة ايام كما فعلوا بك ..

قال له يامولاي ان كان حكمك سبق فليس لدي ما اقله .. وان كان يحق لي التدخل في الحكم فلتاذن لي جلالتك ..

قال له الملك الحكم حكمك.. والمظلوم انت.. فقل حكمك.. والله سوف اطبقه عليهم ولو حكمت عليهم بالقتل ..

قال يامولاي هم لم يحبسوني خمسة اشهر .. وانما خمسة ايام .. وفي الخمسة ايام لم اجع ولم اعطش.. فكان زادي ومائي معي ..

فان الحكم الصائب والعدل.. ان يحبسوا خمسة ايام ولا يجوعوا ابدا .. هذا هو العدل ..

وان اردت مني الفضل.. فاني اعفو عنهم اكرامك لك يامولاي ..

قال له يابني انت صغير في السن ..

ولكن عقلك يزن عقول الملوك

فوالله لقد حكمت بالعدل .. وتفضلت بالفضل .. فما يزال لك علينا وعليهم فضل .. ولم ينزل عندنا ضيف اكرم منك ..

وناداهم جميعا وقال لهم اذهبوا الى صعايلك العرب من قبيلة كذا وكذا

واوثقوهم بالحبال.. وقودوا جمال بني سهيل واتوا بها اليها في يوم وليلة وان تأخرتم فالويل لكم ..

قال له ابن ورقة .. يامولاي .. انا صاحب الشأن وانا الذي سأذهب واحارب بسيفي هذا واسترجع الابل الى اهلها .. فلا استطيع ان اقبل هذا .. كيف اجلس هنا كالنساء ..

ويذهب الرجال فيقومون بمهمتي؟

قال له الملك .. الامر لك ولكني اطلب منك السماح لهم ان يرافقونك

ولا يدخلون في حرك حث تحتاج اليهم ..

قال له قلت فعدلت يامولاي ..

قال له فاذا رجعت فلا بد ان تأتيني .. فإكرم وفادتك .. قال له سمعا وطاعة ايها الملك العادل ..

وناوله الملك كأسا كان امامه وقال اشرب هذا .. واجرع منه ثلاثا ..

فشرب منه ابن ورقة .. واحس بعد بشي يجري في جسده كالقشعريرة .. قال له الملك هذا سر من اسرارنا .. انك ستري الجن في كل مكان اردت ان تراه.. ولايستطيع الجن كائنا من كان.. ان يتخفى عنك .. فقد انكشف عنك الحجاب .. وازيل من عينيك الستار ..

عند الصباح الباكر ودع الملك .. وقال له اكرمك الله كما اكرمتني يامولاي ..

قال له اذهب وسيلحق بك الفرسان .. ذهب بن ورقة وركب فرسه الذي عادت له قوته .. وقد قضى يوما واحدا

مع الملك عبدالجليل .. ملك مملكة فزام.. في الربع الخالي ..

سار الى قريب العصر .ولم ير احد من اولئك الفرسان يتبعه ..

ولكنه لاحظ ان هنالك اربعة غربان تذهب معه اينما ذهب .. فلما نزل وصل الظهر والعصر نزلت الغربان واتخفت في ظهر جبل من الجبال ..

واكمل يومين وليله وهو يسير من فج الى فج ومن سهل الى سهل ومن وادي الى وادي حتى بلغ هدفه ووصل ..
صيعر وهي منطقة

يتجمع بها البدو اللصوص .. الذين ينهبون ابل العرب ..

ونزل وربط فرسة واخترب سيفه وجاء.. وجد جماعة منهم يجلسون

في ظل صخرة .. فقال لهم ان جماعة منكم اغارو على بني سهيل فاخذوا منهم ثلاث من الابل واني جئت لآخذها ..

فظهر عليهم خوف عظيم .. وقال له احدهم نعم نعم .. اخذناها ونحن نعتذر لذلك تلك هي الابل فخذها واذهب ..

استغرب بن ورقة من خوف هؤلاء المجرمين .. وسرعة استسلامهم

فلما نظر خلفه وجد اصحابه ابناء الملك عبدالجليل الاربعة وهم يحملون سيوفهم .. باجسام ضخمة وهيئات مخيفة ..

فعرف ان اللصوص خافو منهم .. فغضب منهم وقال. ليس في هذا مزية لي .. ولم استرجع الأبل بقوتي .. وانما بالخوف منكم ..

فقالوا له نحن مأمورون بمرافقتك ..

فاقتاد الابل ورجع .. ولما تقدم بمسيرة ساعات .. تحولوا الى غربان وطاروا من امامه ..

الفصل السابع

سار سعد بن ورقة من ديار صيغر .. حتى وصل الى ديار ملك الجن المسلم .. عبدالجليل الكاسر .. فوقف على التلة .. التي وقف بها الملك لما نادى بكلمة فرقت الرمال .. ولكنه لم يتذكر الكلمة التي نادى بها الملك ..

فقال بأعلى صوته ايها الملك الصالح .. انا سعد بن ورقه قد اتيت على وعدي ..

فتطيرت الرمال .. وفتحت الابواب التي تؤدي به الى ديارهم .. فاستقبله الملك في اول دخوله .. ورحب به .. وادخله الى دار الضيافة .. وصل ابن ورقة في وقت بين الظهر والعصر .. ف صلى وقرا حزه من القران .. وحينما بدأ في القراءة اجتمعت الجن حوله يستمعون ويبكون ..

فقصد ان يقرأ (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران) .. الى اخر الايات

فقالت الجن بصوت واحد.. سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

ماكان سعد بن ورقة يعتقد انه سيلتقي بقوم في هذه الطيبة وهم من الجن ..

ولكنه كان مستعجب من ظلم اولئك الفرسان الذين قيدوه في الغار ..

فذكر ذلك للملك وقال له يامولاي .. ان ابنائك وابناء اخيك لايشبهون هذه الامة التي اراها .. فهؤلاء قوم صالحون وهم ليسو كذلك ..

قال له يابني انا منا الصالحون ومنا دون ذلك .. كنا طرائق قديدا ..

تزوجنا انا واخي من قبيلة اخرى .. وترى اولادنا مع اخوالهم فنشأوا بطبيعة فاسقة .. اسأل الله لهم الهداية .. ولكنهم رجال مواقف .. ولايرضون في دين الله طعنا" ولاتنقيصا" .. ويحبون الله ورسوله ..

قال له بن ورقة والله ان فيهم خيرا .. ونرجو الله لهم ..

طلب منه الملك ان يبيت ليلته تلك.. ويواصل المسير في اليوم التالي

وقال له الملك ان عندي كلام كثير اريد ان اقله لك في هذه الليلة .. فقد اصبحنا اصدقاء .. والود بين الاخوة ليس شيئا سهلا..

ولما كان من الليل طلب الملك من ابن سعد ان يصلي بهم العشاء ويعظ القوم من علمه ..

فقال له اذن اطلب لي اولادك ليسمعوا موعظتي يامولاي ..

فبعد ان صلى ابن سعد بالجن صلاة العشاء ..

وقف وقال ..

ايها القوم .. ان الله اذا انعم على العباد نعمة.. فلم يشكروها.. سلبت منهم .. واذا اصابهم بمصيبة .. فلم يصبروا عليها .. كانت عليهم وبالاً وذنوباً..

ايها القوم ان الأعجاب بالنفس من شيم الضعفاء .. وان التواضع شأن الاقوياء .. ايها الناس ان القوة بيد الله .. يمنحها لاهل طاعته .. فان اهل المعصية ضعافا ولو قويت اجسامهم .. وعلت قاماتهم ..

ايها القوم ان الله ارسل رسوله ليبلغ الناس الهدى .. فلما قبضه اليه.. كان حقاً على امته واحبابه.. ان يكملوا لرسول الله صل الله عليه وسلم مهمته .. فيبلغوا رسالته.. وقد قال (بلغوا عني ولو ايه) .. وان الله اعطاكم قدرة لم يأتيها اياها .. وجعل لكم مزايا اكثر منا .. فسخرو قوتكم لنصرة الله .. وسخروا مقدراتكم لمنفعة الخلق .. وفعل الخيرات .. فهذا هو شكر النعم ..

فان الله والطرب .. من شأن السفهاء .. وان السكر والعهر لا يشبهه الاوفياء ..

هل يرضى احدكم ان ينادى يوم القيامة .. على رؤوس الاشهاد بالماجن السكير .. وبحضور انبياء الله وعباده الصالحين ..

عباد الله .. ان هذه الدنيا زائلة .. والعمر فيها محدود .. فسخروا هذه الساعات المؤقته .. للاستعداد ليوم الرحيل الى الدار الابدية ..

والصلاة والسلام على رسول الله .. اقول قولتي هذا .. واستغفر الله لي ولكم ..

كان الملك يجلس .. ويستمع بكل اعجاب .. وبعد ان قضى سعد من خطبته العصماء .. التي خاطب بها جموع الجن .. دخل القصر مع الملك مكرما .. فجلس معه الملك طويلا .. وتجاوزا اطراف الحديث ..

فسأله الملك عن علاقته بيوسف التيمي .. فاخبره سعد بالقصة

حتى وصل الى سلمى المريضة .. التي ترى غرابا وتخاف منه .. فاستغرب الملك من كلامه وقال له .. ان التحول الى الغربان هو سر مملكتنا ..

فان كان ماتراه هذه الفتاة حقيقيا" .. وليس توهمها منها .. فان هذا جني من مملكتي .. وهو امر مقدور عليه ..

قال له كيف اعرف ذلك يا مولاي؟

قال عليك ان تراقب .. مداخل ومخارج البيت .. فان رأيت غرابا يقترب منها .. فقل اني من اصحاب عبد الجليل الكاسر ..

وان عبد الجليل يأمر ان تايه في الحال .. فانه سوف يفارقها ان سمع منك كلمة السر .. فسيصدقك ..

قال ماهي كلمة السر؟ ..

قال له .. قل له .. (الهامة) .. فانها كلمة السر .. لافراد جنودنا في مشارق الارض ومغاربها .. قال له الهامة هذه التي هي مقدمة الراس؟ قال نعم انها هي ..

فان لم تر شيئا ولثلاث ايام .. فاعلم ان الفتاة مخبولة تتوهم .. فالله يكون في عونها ..

فرح ابن ورقة في ليله تلك .. وعلم ان الله اراد له خيرا .. وان الجنود السفهاء الذين اعتقلوه .. وتلك الايام الخمس التي قضاه في الغار .. كانت لخير له ونعمة .. فكم من مصيبة يراها الانسان شرا مسطيرا .. ولكنها خير له ..

ودوما الخير فيما يختاره الله ..

اصبح الصباح .. وسافر سعد ابن ورقة الى ديار تيم يمتطي الريح .. وهو اسم لفرس يوسف التيمي من شدة سرعته .. ويسوق معه الابل الاصيله ..

وصل ابن ورقة الى الديار في مسا اليوم الثامن .. ولم يجد في الديار احدا .. لافي بيت ام الكرام .. ولا حركة في بيت زبيدة .. الذي يبعد منه سبعمائة خطوة .. كلهم سافروا للعرس ..

فوقف ونظر الى بيت زبيدة واصبح يتساءل .. هل ياترا سلمى سافرت معهم؟؟ .. ام ان انها مازالت في غرفتها حبيسة المرض الذي الم بها؟ ..

وبينما هو ينظر خرجت خادمة ليوسف كانت في دار زبيدة اسمها درة ..

فناداها سعد .. يادرة يادرة .. تعال الى هنا ..

فجاءته تمشي .. فسألها وقال لها اين الجميع؟؟ .. قالت له ذهبوا الى العرس من البارحة ..

قال لها ومتى يأتون؟

قالت له غدا مساء ان شاء الله .. قال لها ومن معك؟ قالت ليس احد الا انا وسلمى .. التي حرمت من حضور العرس بسببها ..

وهي تصرخ طول اليوم.. اذهب ايها الغراب الملعون .. اذهب اذهب ..

قال لها وهل رايت انت هذا الغراب يادرة؟

قالت له والله لا انا ولا اي احد راه.. فان البنت مجنونة تتخيل ما ليس بحقيقة ..

قال لها ومتى بدا هذا الصراخ؟ .. لانها لم تكن تصرخ فيما مضى قالت له منذ ان سافر اهلها ..

قال لها انا سأجلس هنا.. وراقب المكان .. فان صرخت فنادينني ..

قالت له ستسمعها فان صرختها تدوي ..

ذهبت درة الى سلمى .. وبقي سعد بالقرب من دار ام الكرام.. وعينه على غرفة سلمى يراقب .. حتى ارخى الليل ستوره .. ورشق نجومه في كبد السماء .. وكان متعبا فصرى ونام في العراء ..

وقام في الفجر فصرى .. ثم ادار وجهه ينظر الى غرفة سلمى .. ويظهر هنالك ضوء يخرج من نافذتها .. كانها ساهرت الليل تحت السراج ..

قام واخرج شيئا من العشب للدواب فاكلت .. وسقاها ..

ثم مشى في الصحراء يحوم قلعا" من غير هدف .. وان القلق والشفقة على سلمى تقطع قلبه.. والشوق الى رؤياها يحرق فؤاده .. ولكنه لم يقترب من غرفتها ابدا ..

وبينما هو يحوم رأى غرابا يقترب .. !!!

فاحس ان هذا الغراب هو الغراب المتهم ..

فتبعه بنظره .. واقترب الغراب من غرفة سلمى.. فكان هذا الوقت بعد الشروق بقليل ..

دخل سعد غرفته سريعا واخذ سيفه وسله من غمده وخرج مسرعا صوب غرفة سلمى .. ليرى ماذا يحدث .. وقلبه ينبض سريعا لامرين..

اولا فرح فرحا شديدا .. اذا ان الامر ليس توهما .. هو جني حقا.. والامل في شفاء سلمى ممكن وقريب ..

وفجأة جاء الغراب .. وحط على نافذة غرفة سلمى.. ودخل الغرفة وصرخت سلمى صراخا مخيفا ..

فاضطرب سعد إضرابا شديدا .. وهرب بسرعة نحو الغرفة .. وهو يقول .. انتظرنني ايها الملعون .. اليوم لاقطعك نصفين ..

فلما اقترب سعد من غرفة سلمى.. طار الغراب .. وحلق الهواء وهو ينظر الى سعد .. ولم يستطع سعد ان يقول له كلمة من وصايا الملك الصالح .. حتى غاب سريعا في الجو.. ومازالت سلمى تصرخ ..

فوقف سعد على باب غرفتها.. ليقول لها لقد طار الغراب.. ويهدئ روعها .. فرأها .. راها ترتعش من الخوف هي تحاول ان تغطي جسدها ..

فلما رآته صرخت واغمي عليها ..

فادار وجهه ورجع يصيح لدرة .. يادرة .. يادرة ..

الحقي سلمي فقد اغمي عليها .. قالت له وانت ما الذي ادخلك عليها؟ .. اليوم سأخبر سيدي بما فعلت ايها الخائن

..

sudanesenovels.com

الفصل الثامن

قال لها يادرة دعك من هذا الكلام واسرعي اليها .. فهرولت درة ودخلت على سلمى وجدتها مغمى عليه فرشت على وجهها بلماء فاقاقت مفزوعة وقالت لها من هذا الذي دخل علي؟ ثم استحي واشاح بوجهه مني ..؟

قالت لها هذا هو الخائن الذي يسكن في بيت ام الكرام .. سعد بن ورقة ..

قالت لها .. يا الله .. هذا هو سعد بن ورقة؟ .. لقد اصبح رجلا .. هل تعلمين يا درة.. اني لم ارة منذ خمس سنوات؟

قالت لها وانا اراه كل يوم لم اتكلم معه الا اليوم لما رايتته يدخل عليك

قالت لها وهل راي مني شيئا؟

قالت لها لا اعلم ولكن جاءني يركض.. وقال لي ادركي سلمى قد اغمي عليها .. فلما عنفته لم يهتم وامرني بالاسراع اليك ..

قالت لها ياسلم هذا الفتى امين ليس بخائن.. فنظرته الى كانت بالحياء والشفقة وكانت خاطفة ثم التفت .. ونا لم اعرفه.. فلو عرفته لما اغمي علي.. فلا تخبري ابي بشي.. فيشكون فيه

قالت لها سمعا وطاعة ..

ولما ارتفعت الشمس كان الوقت ضحى .. قالت لها اذهبي اليه وأساليه.. ماذا يأكل؟

فاصنعي له طعاما.. وقولي له ان سلمى بخير .. ففعلت درة مثلما قالت لها سلمى .. وفي اثناء ما كان في غرفته

|

يأكل الطعام الذي صنعه له درة. جاء الغراب واختبا ورا الغرفة

ولم يره احد .. يتحين فرصة ..

فجاءت درة وادخلت الطعام لسلمى وقالت لها هيا نأكل ..

فاكلتا معا.. وفي اثناء الاكل قالت لها يادرة.. ان هذا الفتى يشغل قلبي منذ ان كنت طفلة .. وهو يحبني كما اخبرتني امي بذلك .. ولكن لا اعلم.. هل هو الى الان.. على حبه؟؟

ام ان الايام غيرة الدواخل ..

قالت لها يا سلمى ان هذا الفتى يحبك حقا.. انك مارأيتي كيف كان يتكلم عنك بشفقة عظيمة.. عندما كنت في الاغماء ..

وكان هذا الحوار يدور والغراب يسمع .. فلما خرجت درة تحول الغراب الى صورة رجل يشبه سعد بن ورقة .. ودخل عليها .. وازاح عنها ثيابها فصرخت .. فجاءت درة تجري.. فلم تر شيئاً وسلمى تصرخ ..

قالت لها اطردني هذا الرجل من هنا يادرة؟ قالت لها انا لا اراه ..

قالت لها انتي كذابة يادرة.. انت تتفقين معه لاذيني ..

فسمع سعد بن ورقة الصراخ.. فلما خرج من غرفته.. خرج الجني سريعا من غرفة سلمى.. وتحول الى غراب وطار ..

ولما وصل ابن ورقة.. بالقرب من الغرفة نادى على درة .. وقال لها يادرة .. مالها سلمى؟؟

فقالت لها سلمى .. يادرة اذهبي الى هذا الملعون .. يناديك ..

قالت لها انه سعد بن ورقة ياسلمى .. قالت لها انه نفسه الرجل الذي كان معي ..

قالت لها نسأل الله لك العافية ..

لم يدخل سعد بن ورقة في غرفتك ياسلمى.. فهو بالخارج الان .. قالت لها اعلم انه بالخارج ..

لقد كان هنا.. وخرج الا يخشى الله هذا الفتى. سبحان الله لقد كنت احترمه قبل قليل.. فسقط من نظري ..

قالت لها درة ياسلمى.. لا تظلمي بريئا.. بسبب رؤياك غير الحقيقية ..

قضت يومها كله وهي حزينة.. حتى جاء اهلها عصرا ..

لما نزل يوسف واولاده.. ورأوا ان سعد جا بالابل .. فرحوا واستبشروا ببسالته.. التي قهر بها الاعداء.. وشكره يوسف وقال له ياسعد اذهب انت واحد اخوتك الى بني سهيل .. واخبرهم انك انت الذي ارجعت لهم دوابهم .. قال له ياعماه.. ولكن الفضل في ذلك ليس لي وحدي ..

قال له حتى ولو ساعدك احد .. لايهمنا .. اذهب سريعا وادخل الفرح على بني سهيل فانهم اصدقائنا ..

اما سلمى فمازال الحزن والغضب يكتنفها .. ثم عزمت ان تخبرهم

فنادت اباها.. وقالت له يا ابي .. ان هذا الفتى الذي يقال له سعد ابن ورقة .. قال لها ماله سعد يحفظه الله؟

قالت له ..

نال منك .. وكشف سترك .. ولم يحفظ غيبتك ..

قال لها استغفري الله يا بنيتي ماذا حدث؟ ..

قالت له لقد .. تجاوز بابي .. وجر ثيابي .. واهان شبابي ..

قال لها ابوها بئس ماتقولين يا سلمى .. فانت تتخيلين .. قالت له لقد اخبرتك يا ابي وانت بالخيار .. اصدقني ام كذبت ..

قال يوسف يادرة ماذا تقول سلمى؟

قالت له انها تهذي يامولاي.. لم يدخل عليها.. ولما كانت تصرخ هو كان في غرفته .. وانا شاهدة على ذلك ..

قالت سلمى يا ابي لاتصدقها.. وصدقني انا التي رأيت ..

فقال لها ابوها.. حسنا حسنا ياسلمى انت صادقة خير خير .. ارتاحي قليلا حتى ارجع اليك .. ولاتخبري احدا بماحدث..

ولما خرج يوسف من غرفة ابنته .. وخارج الغرفة وامام الباب.. نظر الى الارض .. فرأى اثار احذية سعد عند الباب .. وهذا الاثر صحيح ..

عندما جاء ووقف في الصباح عند الباب ليطمئننها ..

فلما رأى يوسف الاثر قال .. لقد صدقت ابنتي.. ان الفتى خانني وانا غائب .. ولكن ماذا افعل به؟ .. وذهب كئيبا حزينا .. وهو صامت ..

ولم يخبر اخذ بماقالته سلمى له ..

جلس يوسف يفكر.. ويقول في نفسه .. لماذا يفعل سعد هذا الامر .. وهو بكل هذا الادب.. وهذا الالتزام بالحق والعدل .. والله لو لمرا اثار اقدمه امام بابها.. لما صدقت مايجري ..

لا اله الا الله .. يارب ماهذا الذي يحدث ..؟؟

فلما وصل سعد فرحا من بني سهيل .. قابل يوسف .. وقال له ابشر يا عماه.. فان القوم استبشرو خيرا .. وقد حملوني تحياتهم ودعواتهم لك بدوام الصحة والعافية ..

اعلم يا عمي .. لولا الله ثم تربيتك لي .. لان اكون رجلا .. لما استطعت ان اتجاوز هذه المحنة .. سعد يتكلم .. ويوسف ينظر اليه عابساً غاضباً مكفهر الوجه

فانتبه سعد الى ماكان ناسيا .. او كاد ان ينسى.. ان الخادمة ربما تكون اخبرت مولاهما بان سعد اقترب من غرفة سلمى .. فاصابه رعب وخوف شديد ..

فقال له يوسف.. يا سعد بن ورقة.. انزل الرجل .. فاني اريدك في بعض الشان .. هيا بنا الى تلك البئر نتكلم قليلا .. قال له امرك يا عماه ..

فنزل سعد ومشى مع يوسف الى ان وصلوا البئر حيث لايراهم احد ..

فجلسا معا" .. فقال له يوسف يابني .. انا عندما رايتك وانت طفل.. فتى براق الثنايا .. مرفوع الهامة .. شريف الاصل .. طيب المعشر .. ذكيا لبقا .. صادقا امينا .. رايت فيك ضالتي .. لاعلمك مما علمني الله .. من الحق والعلم والحروب ..

استأمني ابوك عليك .. ووثقك في امك .. ودفعوك لي ولم يسألوا عنك طول هذه السنين .. وهم يحسبون انني احسنت تربيتك .. وسارجعك اليهم خيرا.. مما اخذتك منهم ..

ولكن ماحدث اليوم .. يجعلني اندم على اليوم الذي ادخلني دياركم .. لارى اولئك الصبية يلعبون .. ولاسأل من دار ابيك ..

فاني ماكنت احسب .. ان الذي اكل طعامي .. ونام على فراشي .. واسامنته على حرمني .. يغدر بي ويخون ثقتي ..

خاف يوسف في بداية الامر.. ولكنه كان ثابتا في مظهره .. وعيونه كعيون الرجال ثابتة .. واطرافه لم ترتعد ..

بل كانت تعلوه ابتسامة الواثق ..

قال له اكمل ما عندك يا عماه .. فاني تعودت على لا ارد على احد حتى يكمل حديثه.. فربما يكون في ذيل الحديث .. مايلقني حجتى ..

قال له ياسعد .. ما الذي حدا بك لتدخل غرفة ابنتي .. وانا غائب وتجر عنها ثيابها وتكشف ستري ..

قال له هل اكملت ماتريد ان تقول يا عماه؟

قال نعم اكملت .. قال اذن صبرك علي .. حتى اكمل حديثي ولاتعجل علي..

الفصل التاسع

قال له يا عماه .. حينما ذهبت الى هولاء اللصوص في صيعة لم يكونوا هم من الصيعة .. ولكنهم بدو متفleton وصيعة منهم براء .. في طريقي .. حدث كذا وكذا .. وقص له حكاية الجن بالتفصيل .. قال له واعطاني الملك شيئاً شربته .. وقال انه سيكشف عني مايجب عن عامة الناس .. من رؤية الجن .. فلما جئت هنا حدث ان رايت الغراب الذي كانت تراه سلمى.

فقاطعة يوسف التيمي. وقال له يا سعد لاتستخف بعقلي .. انت رجل صادق من طفولتك .. ماهذه الاكاذيب التي تحكيها لي .. هل تعتقد اني سأصدق هذه الخرافات؟ .. انا سافرت عشرات المرات .. بطريقك هذا الذي سلكت .. فمارايت شيئاً

انت تخلق قصصا لتعذر نفسك عما فعلت .. فلو تصدقني القول لربما اعذر .. فان العشق يابني مرض .. قد يجرك لاشياء لاتسطيع مقاومتها .. فاصدقني ولاتكذب ..

قال له ياعماه .. انا قلت لك دعني اكمل حديثي .. ولاتقاطعي .. ثم تكلم عني بعدها ماتشاء ..

قال له لقد مللت من هذه الاسطورة التي تحكيها .. واضعت وقتي ..

قال له اصبر علي حتي اكمل ..

قال اكمل ..

قال له ياعماه فلما رايت الغراب يدخل غرفة سلمى .. جئت احمل سيفي واصيح لاقطعك .. فلما بلغت الباب .. لم ادخل فلما راتني اغمي عليها

وانا رجعت ولم ادخل عليها ..

ثم اتتني درة بطعام فسمعت صرخة اخرى .. ولكنها لم تلبث بها طويلا ..

قال له اذن لماذا لم تخبر الغراب بالكلمة التي قالها لك ملك الجن؟

قال له لقد طار عقلي في تلك اللحظة .. ولم اذكر شيئاً من هول المفاجأة .. ومن انزعاجي بالصياح ..

ولكن والله لم ادخل عليها .. ولم ادقق حتي النظر اليها ..

وما اظن قولها اني دخلت عليها .. واخذت بثيابها .. الا ان الجني الملعون ..

تمثل لها بصورتي .. فضحك يوسف التيمي ساخرًا

وقال يابني لقد اهتزت ثقتي فيك .. ولم اصدق مما قلت كلمة واحدة ..

ومن اعاجيب كذبك واختلاقك .. انك تريدني ان اصدق خيالات ابنتي .. فلذلك لا اريد ان اكذب عليك .. وان وعدي معك نافذ .. فالفرس لك والسيف لك .. ولكن ابنتي لن تكون لك لامورثلاث:

اولا .. لانها ليست مكلفة لان تعطي فيك رايًا ..

وثانيا هي غاضبة عليك وترفضك ..

وثالثا لان استعجلت امرك .. وكشفت سرتي .. قبل ان اذن لك بذلك ..

وما جرى منك سأجاوز .. لاني لا املك البيانات الكافية لادانتك .. وسافوض امري لله فهم الحكم العدل ..

اذهب راشدا الى ديارك .. فلا مقام لك بعد اليوم عندي ..

قال له سعد .. لا الومك على شي.. ولا اجبرك على التصديق .. وانت معذور في الغضب .. ولكني اطلب منك طلبا
اخيرا .. هل لك ان تمهلني ثلاثة ايام ..

قال ماذا تريد فيها .. قال فقط ثلاثة ايام .. واكون شاكرا لك ..

قال له ولكن في هذه الثلاثة ايام.. لاتريني وجهك .. فاني لا امن عليك سطوة غضبي ..

قال له ساقيم بالمسجد.. حتى تنقضي ايامي ثم ارحل .. فاذن له بذلك ..

كان المسجد لايبعد كثيرا عن المنزلين ..

وقد رابط سعد في المسج.. د وهو يراقب غرفة سلمي .. يمني نفسه

انه ان يرى ذلك الغراب فيخبره برسالة الملك عبدالجليل ..

ولكن مرت الايام الثلاثة .. ولم يرى شيئا .. فنادى درة وقال لها هل رات سلمى شيئا؟ قالت له من ذلك اليوم ... لا..

ودع سعد الجميع .. وخص بالوداع ام الكرام.. التي بكت لفراقه .. وقالت له والله اني لاعلم انك برئ .. واسأل الله
ان ينصفك .. قال لها يا اماه .. هل تزوديني في سفري زاد لثلاثة ايام بلياليها ..

قالت له لك ذلك بالبركة.. وزودته.. وقال لها بلغني عمي سلامي ووداعي ..

وذهب الى اين؟ .. ليس الى اهله.. انما لديار ملك الجن الصالح

عبدالجليل ..

فلما وصل التلة .. التي ينادي بها نادى باعلى صوته.. ايها الملك الصالح .. انا سعد بن ورقة .. ففتحت له الابواب
ودخل ورحب به الملك .. وكل سكان المملكة الطيبة ..

فقال للملك جئتكم يامولاي منكوبا مظلوما .. فقد حدث كذا وكذا ..

وان عمي الذي احسن في وعلمي وكان في مقام ابي .. غاضب علي .. وانا في كرب عظيم .. وحكى له كل شي ..

قال له الملك عبدالجليل هدي من روعك.. ارتاح قليلا وامرك محلول باذن الله ..

اولا هل يوسف التيمي ينكر وجود الجن؟.. وهل هو لاوؤمن بكتاب الله.. الذي انزل سورة كاملة.. سماها باسمنا ..
سماها سورة الجن ..

ام ينكر رؤية الجن ..

فان المسلم والكافر يرون الجن.. باذن الله ان ارد رينا ..

اولم ير الكفار ابليس.. وهو من قبيلنا من الكفرة في غزوة بدر؟

فقد قال الله .. تعالى ... وَإِذْ زَلَّلْنَا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ
فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ كَضَّ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ..

اولم يعلم يوسف التيمي ان الصحابة رأوا الجن؟؟ .. وان اباهيرة راي جنا ياخذ من تمر الصدقة .. والحديث فيه
مشهور معروف؟

قال له سعد والله يا مولاي ان يوسف التيمي .. رجل عالم .. فلا ادري لم لم يذكر هذا ..

قال يابني.. ان كان يوسف يريد ان يرانا سوف نريه ..

وسوف نبرئك باذن الله تعالى .. سوف يذهب معك ابنائي .. زياد وكعب الاكبر ..

وسوف اعطيك شربة تسقيها يوسف .. ليري مثلك ما يحصل لابنته وسوف يبرءك ويزوج اياها ..

قال له يامولاي .. انا لا استطيع ان اذهب الى ديار يوسف مرة اخرى .. فان كرامتي لاتسمح لي ان أطا ارضه او اتزوج بنته .. ولكني أثق فيك لتبرء ساحتي بما ترى ..

قال له الى اين ستذهب ياسعد ابن ورقة؟ .. قال سأذهب الى ديارى .. فقد اشد شوقي الى امي وابي واخوتي .. واني جئت اليك ليس لاني اريد بنته للزواج ..

ولكن اريد ان استرجع سمعتي في قلب من رباني واحسن الي .. فان استطعت يامولاي ان تفعل شيئا .. فافعل .. فانت صديقي والصديق عند الضيق ..

قال له لا عليك يا صديقي .. اذهب الى اهلك واهنا بمعيتهم .. فوالله لا ازال بهم حتي اكشف لهم الحقيقة.. اما هذا الملعون المعتدي على الفتاة .. فعقابه عندي عسير ..

بات سعد بن ورقة مع الملك عبدالجليل في قصر الضيافة .. وفي الصباح اهداه الملك عصا تشبه الصولجان .. وكانت من الذهب الخالص .. وفرح سعد بالهدية فرحا عظيما .. وقال له الملك ان هذه العصا بها من الاسرار مايدھشك .. ولكن اذا عصيت الله فقدتها .. فاذا فقدتها فاكثر من الاستغفار.. ربما تعود اليك وربما لا ..

شكره وسافر الى اهله ..

ترك حبه وراء ظهره .. ولكن الحب في قلبه يدب كالمرض العضال .. لايستطيع ان ينسى تلك الفاتاة التي ادهشه جمالها .. وبالرغم من انها رمته بتهمة .. يندى لها الجبين

الا انه يعذرها في ذلك فهو يعلم انها معذورة ..

وطول الطريق مشغول فكره بها .. ويملاؤه الهم بالتهمة التي الزقت به .. ويحدوه الشوق الى اهله.. فقال...

يارب كن لي في المهالك منقذا ..

انت المجيب وانت رب المهتدي ..

انصفي ياري وبرء ساحتي..

فلقد وصفت صبيحة" بالمفسد ..

تلك التي ارويبتها بمحبتتي ..

هدمت جداري واستحثت مرقي..

فالله يشفيها ويسعد اهلها ..

فهي البريئة وهي نفس المعتدي..

لما وصل سعد بن ورقة.. الى داره في بني عجلان .. وهذه خمس سنوات .. وهو غائب عن الديار .. فاول ماقابل احد اخوته.. يقال له مرثد .. فعرفه .. وقال له يامرثد .. السلام عليكم ..

وقف مرثد وهو ينظر طويلا الى هذا الفتى .. الممتلى بالشباب والقوة .. ووجهة يشع بالنور .. وفي نظرتة نظرات الرجال ..

ويظهر عليه الصغر في العمر .. قال له عليكم السلام .. من انت؟

قال له انا اخوك سعد ..

فاندهش مرثد وسلم عليه بالأحضان

وقد بكى مرثد من الشوق ..

وزهدا الى الدار وكان مشهدا عظيما .. فيه كثير من البكاء والاشواق ..

فان اهل اليمن قوم يغلب عليهم طبع الرحمة والحنو (الحنان)

قلوبهم رقيقة .. وافئدتهم كافتدة الطير ..

مع ما عندهم من الباس والقوة .. والشجاعة في الحروب ..

اما ابوه فكان يسلم عليه سلاما طويلا .. ثم يبعد قليلا وينظر اليه من اعلى الى اسفل .. ثم يسلم عليه مرة اخرى ..

واما الام فكانت تنظر الى ابنها .. وتذرف دموع الفرح ..

على كل كان يوم وصول سعد الى داره يوما مشهودا .. لا يشبه الايام واقيمت له مأدبة (عزومة) .. جمع فيها ورقة اكابر القوم واعيان البلد

فجاءوا واستمعوا لسعد .. الذي قرا عليهم القرآن من حفظه واسمعهم من علمه ومواعظه ..

فقال له احد الاعيان اسمه يزيد الصنعاني .. كنت قد سمعت انك ذهب لتعلم الفروسية .. فان بلادنا لاتحتاج الى كثير من الفقهاء

قال له ورقة نعم لقد تعلم ابني الفروسية .. ولو لم يكمل تعليمه فيها .. لما ارسله الينا يوسف التيمي ..

قال يزيد ان كان حقا ماتقول .. فاننا نطلب مبارزة بالسيوف بين ابنك وبين ضرار بن قويم .. وكان ضرار من امهر الناس بالسيف ..

فلا يكاد المبارز ان ياخذ معه ثلاث انفاس ..

فقال ورقة لسعد ماتقول ياسعد؟

قال انا على استعداد يا ابي .. متى تكون المبارزة ؟ ..

قال يزيد الصنعاني اليوم .. والان .. في هذا المجمع الكبير .. وكان يزيد من اصحاب الحقد الدفين على ورقة .. يحسده في امواله وتجارته .. ويريد ان يذله بهزيمة ابنه امام القوم ..

والمعلوم ان سعد عمره 17 عاما .. وان ضرار بن قويم في الثلاثين .. فوافق ضرار .. واحضر سيفه .. واجتمع القوم في حلقة ..

الفصل العاشر

دخل سعد الى البيت ليأتي بالسيف.. ولبس ضرار درعه واخذ المجن (الدرقة) وجاء الى المباراة .. خرج سعد من غير درر ولا مجن ولا سيف .. بل يحمل تلك العصا اللامعة .. التي اهداها له الملك عبدالجليل .. فاستغرب القوم وقالوا له ما هذا يا فتى؟؟ ..

قال سعد تريدون المباراة.. وانا لا اريد ان اجرح الفارس .. قالو له ولكنه لن يرحمك ..

قال لهم لا أسأله الرحمة .. فان قدر علي فليفعل ما يشاء ..

قالو ماذا تقول يا ضرار؟ .. قال عصاه فليضرب بها .. وسيفي سا ضرب به ..

وابتدأت المباراة .. واتخذ سعد وضعية الدفاع .. فلم يستطيع ضرار ان يوصل له ضربة .. فكان العصا في يده كأنها برق .. كلما تحرك سيف ضرار صرفه منه ..

ولما طالت المباراة .. هاج ضرار وماج.. واصبح يضرب كالمجنون ..

ويقول له انك ميت اليوم يابن ورقة .. فضربه سعد على كتفه اليسر

فسقط المجن منه.. لم يستطيع ان يتناوله ..

فهاج بالسيف ويده اليسرى كانها مشلولة .. ثم جاءت ضربة اخرى بالعصى على كتفه الايمن .. فسقط سيفه .. ولم يستطيع ان يمسه ..

فاصبح يصرخ من الغضب والعجز كأنه مجنون .. ويقول ان العصا تصعق كالبرق.

التفت ورقة الى يزيد الحاقده.. وهو يتبسم فخورا بابنه .. وقال له ماذا رايت يا يزيد؟ .. لعل ابني قد اخرس لسانك ..

فقال احد القوم لو سمحتم لي بقول اقوله ..

اننا نحتاج لفارس واثق وقوي .. وصغير في السن .. فان ضرار قد اضعفه الغرور والعمر .. وترك التدريب وهو يظن انه لا غالب له ..

فانني اقترح ان يكون سعد بن ورقة قائدا ..

فقال سعد وانا لا اقبل بهذا الان .. ولكني سأكون اليد اليمنى للفارس ضرار .. قال له ابوه احسنت يابني .. هكذا ريناك.. وهكذا يكون اهل الثقة .. والايمان والتواضع ..

سمعت المنطقة جميعا بأن سعد بن ورقة.. جاء من ديار تيم وقد برع في فنون القتال .. ونال من العلم ما لم يكن يحلم به احد من اهل قبيلته..

وبدأ الناس يأتونه من مشارق الارض ومغاربها.. يطلبون العلم .. والفقه .. ويستفتونه في مسائل الفقه المعقدة .. وكان لكل سؤال له جواب .. ولكل معضلة عند حل ..

مرت اشهر ولم يعلم ماذا حدث مع يوسف التيمي .. وماذا فعل الملك عبدالجليل .. ولم يخبر احدا من اهل بيته بما جرى له مع الجن .. او التهمة التي الزقت به ..

ولكن في يوم من الايام مات الفرس الاسود.. الذي اهداه له يوسف التيمي.. فبكى سعد عليه كأنه ابنه .. هذا الفرس الذي يعرفه منذ خمس سنوات ..

وفي شدة بكائه سأله ابوه ..

وقال له يا سعد.. كلما اريد ان أسالك انسى .. هل ما زال يوسف على وعده لك ان يزوجك ابنته؟ .. فقال.. لا يا ابي ان البنت التي اخترتها مرضت .. فتنازلت له من طلبي .. واكتفيت بالحصان والسيف ..

قال له امض لا امل في شفائه؟ .. قال له انه اصيبت بعقلها .. فهي غير مكلفة باختيار زوج او الموافقة عليه ..

قال له احسنت يا بني.. وفي كل محنة عندك حكمة بالغة ..

توفي زعيم قبيلة من قبائل العرب .. وكانت وفاته خبرا هز بقاع شمال اليمن كلها حتى بلغ عمان .. فركب وفد من قبيلة بني عجلان لواجب العزاء والمواساة .. ويحملون التعازي من زعيم القبيلة..

وكان في الوفد ورقة والد الفتى ..

فلما وصل الوفد الى مكان ما يريدون .. قابل ورقة صديقه يوسف التيمي .. فلما رآه ورقة تهلل وجهه .. وفرح فرحا شديدا .. وجاء وسلم عليه .. وقال له والله لو يايوسف التيمي.. لو اخدمك عبدا فاغسل قدميك وادهن راسك .. لا استطيع ان اوفيك حقا فيما قمت به مع ابني سعد ..

اسأل الله تبارك وتعالى ان تجد البركة في ذريتك ..

كان يوسف التيمي مندهشا "مبهوتا"

فهو كان يظن ان ورقة سيذله امام الناس.. بسبب تهمة ولده ..

ولكن ورقة اساسا لا يعلم شيئا عن هذه التهمة.. التي القيت على ابنه البرئ ..

ثم قال ورقة ليوسف .. ونسأل الله تعالى ان يشفي ابنتك من المرض..

قال له او اخبرك سعد انها مريضة؟

قال له نعم لما سألته عن الوعد الاخير ان تزوجه ابنتك .. قال لي ان البنت التي اختارها مرضت .. وهي لا تكلف..

فهم يوسف التيمي .. ان سعد لم يحكي لابيه شيئا مما جرى ..

فاغروقت عيناه ودمعت .. وقال في نفسه ان هذه الفتى جوهرة

من جواهر الصلاح في هذه الارض... لو لم يعفو عني لهلكت ..

ثم التفت الى صديقه ورقة .. وقال له .. يا ورقة ان ابنتي شفيت بحمد لله .. فقل لابنك ان يأتي ويأخذ امانته ..

قال له نعم نعم ..

ساخبره وسألتك .. ان شاء الله في موكب مهيب تسمع به العرب في المشرق والمغرب .. وساكون من اسعد الناس.. وفي بيتي بنت يوسف التيمي .. صديقي ومعلم ابني ..

يايوسف التيمي.. ان ابني اصبح بارعا في العلم والحديث .. والفقه والادب .. يناهز الفصحاء ويسكت الفصحاء .. ولا يستطيع ان يجاربه احد من الشعراء. علاوة على ما عنده من فنون الحرب واتقان المبارزة .. فلا أدري كيف اشكر ..

قال له يا ورقة ان ابنك عقل ناضج .. وقلب متقد .. وروح نائرة

لا يعرف الكذب ولا يتسهويه الملاهي .. لم ينظر الى قدميه ولم يشتكي احد عليه .. فنال بعقله مانال من العلم والشرف .. ونال بنشاطه مانال من القوة والسيادة .. وسوف تراه فيما تستقبلك الايام به.. فارس لا يغلب وسلطان لا يقهر ..

فاذا ذهب الى فاحمل مني اليه وصية.. هو سيفهم مغزاها ..

ولتسأله عن سرها.. ان كان لي عندك معزة .. فهو ابني الذي يعلم اسراري .. فان كنت ستسأله عن السر.. فلن احملك امانتي ..

قال له.. قل له ان عمك يوسف التيمي يقول لك .. لقد راينا الغراب المتهم .. واخبرناه بالهامة ..

فضحك ورقة .. وقال له ماهذه الالغاز التي تجعل الانسان يضحك حتى يسقط على قفاه .. قال الم اقل لك لاتسأل؟

قال لن اسال عن خرافاتك انت وابن اخيك سعد.. هيا يارجال وودع ورقة صديقه يوسف التيمي.. وسافر مع الوفد ..

واول ما قابل ابنه سعد .. قال له ياسعد لقد جئتكم ببشارة عظيمة .. فخفق قلب سعد .. لانه كان يتوقع ان يقابل ابوه يوسف التيمي ..

جاءه عجولا .. وقال له اخبرني يابي فاني احب البشائر .. قال له لقد قابلت عمك ومعلمك يوسف التيمي .. وقد اخبرني ان الفتاة قد شفيت.. وانه مستعد ان يوفي بعهد الذي عاهدك به ..

فتغير وجه سعد.. كأنه كره الكلام .. ولكن ابوه لم يلاحظ ذلك .. وواصل ابوه في الكلام.. وقال له لقد حملني يوسف امانة .. وهي عبارة عن لغز .. لا ادري معناه.. ولكني احفظ كلماته ..

قال له ماذا قال يا ابي؟؟

.. قال له ان يوسف التيمي يقول لك...لقد رأينا الغراب المتهم واخبرناه بالهامة ..

فتهلل وجه يوسف .. وفرح فرحا شديدا .. ان يوسف التيمي اخيرا ثبتت لديه انه بريء من التهمة .. وهذا مراده ..

فقال له يا ابي لقد وصلت رسالة يوسف التيمي .. وفهمت اللغز.. وبما انه اوفي بعهد .. وسيزوجني ابنته ..

فانا اشكره على ذلك ولكن يا ابي.. لقد غيرت رأي من ابنته.. ولا اريد الزواج بها .. فان ديارها بعيدة ..

قال له يابني ماهذا الكلام الذي لايشبهك؟ .. انا وعدته ان نأتيه بموكب زواج لم ترى العرب مثله .. وانت تقول غيرت رأيك .. الم تفرح ان الفتاة التي اخترتها قد شفيت؟؟.. وان يوسف سيوفي بوعدة ويزوجك من تمنيتها واخترتها؟؟..

اخبرني يا ابني؟ ماذا يجري بينك وبين يوسف؟ .. فاني رايت في عينيه شي من الريبة والشك.. في اول لقائي به .. ولكنني تجاهلت ذلك .. لا بد ان تخبرني ..

قال له ساخبرك يا ابي ..

قد اخترت الفتاة حينما كانت صغيرة .. ولم ارها خمسة اعوام .. فلما كبرت ورايتها لم تقنع في نفسي ولم احبها؟

واخبرت يوسف بهذا .. قال له ابوه اني اشم رائحة الكذب في كلامك يا بني .. فسكت سعد .. ثم انصرف الى غرفته التي فيها اغراضه .. فلم يجد العصا التي اهداها اليه الملك عبدالجليل فقال .. انها المعصية ..

انها الكذبة التي كذبتها على ابي .. ضاعت العصا..

فرجع الى ابيه فورا .. وقال له يا بي .. اعف عني فقد كذبت عليك .. والله ان الفتاة تعجبني .. واتمناها .. وينبض بها قلبي صباحا وعشيا ولكن هناك مايمنعني من الزواج بها ..

فسامحني على اني لا اخبرك به .. فانه من اسراري التي احتفظ بها لنفسي .. فقال له ابوه ان كنت تكتتم الاسرار عن ابيك .. فعلى الدنيا السلام .. اتريد ان اغضب عليك .. بعد ان كنت انت اساس الفرحة في حياتي؟؟

وقف يوسف محتارا " بين ان يكذب على ابيه .. وبين ان يغضبه بالحقيقة.. التي سوف تجعل الفجوة والعداوة بينه وبين صديقه يوسف التيمي ..

وده المعنى الحقيقي للكلمة .. ه الزول ده كتمت فيهوبالجد؟

sudanesenovels.com

الفصل الحادي عشر

قال سعد لابييه .. يا ابي ان الامر ليس شيئا سيئا .. ولكني وعدت نفسي على كتمان السر لمصلحة عليا .. فانت لاتريد مني ان احثن بوعدي .. ولكن استأذن منك.. ان ازور معلمي وعمي يوسف التيمي ..

وساستأذن منه هو لاخبرك .. فتكون زيارة ود وخير وبركة .. وان تكون انت في صورة الامر ..

قال له ابوه ما رأيك ان اذهب معك؟؟ ..

قال له سعد لك ذلك يا ابي غدا صباحا نذهب اليه .. ان شاء ربي

ورجع سعد الى غرفته.. وبدا في الاستغفار.. وطلب العفو من الله من اجل الكذبة التي كبرها على ابيه .. مع انها كانت من اجل مصلحة ودرء مفسدة ..

فقضى اليوم مهموما مغموما.. على فقدان العصا.. وعز عليه جدا ان يسافر من دونها .. ولكنه عندما استيقظ لصلاة الفجر.. وجد العصا موضوعة على صدره .. وفرح بها فرحا عظيما ..

تجهز الولد وابوه وتزودا للسفر.. وسافرا معا" الى يوسف التيمي ..

فلما نزلا ورأهما يوسف التيمي.. فرح وارتعب وعلت وجهه موجة الاضطراب.. التي تكسي وجوه العظماء .. اذا حاصره الاحراج ..

رحب بهم بصوته العالي كما هو معهود له .. فاجتمع الابناء الذكور.. من كلا البيتين .. ليسلموا على سعد.. وليروا اياه الذي يسمعون به كثيرا .. من حكايات ابيهم وحكايات سعد التي يحكيها عن والده.. ..

بعد ان اكرم وفادتهما .. اختلا بهما الاثنين ..

فقال له .. يا عماه انا لم اخبر ابي بأي شي جرى بينا .. منذ ان سافرت الى صيعر ..

وقد جئت اليك به لتخبره بنفسك.. فانا اريد ان اسمع باقي القصة .. وتفاصيل اللغز الذي ارسلته لي مع ابي ..

فتنحج يوسف التيمي .. وقال ابدأ لكم .. باسم الله ..

ارجوك ان تستمع ياورقة بكل انتباه.. ولا تسخر بنا .. حتى اكمل لك الكلام ..

حدث ان بنتي منذ فترة يحصل لها كذا وكذا .. وفي يوم سافر سعد الى صيعر .. وراي في الطريق كذا .. وحدث كذا ..

المهم حكى له الذي جرى مع سعد ..

قال له ولما جئت واشتكت لي ابنتي .. لم اصدقها .. حتى رايت اثار سعد امام الباب .. وهو يقول ان الجني المتشكل في صورة الغراب ظهر بصورتي ليزق بي التهمة .. وسخرت به ولم اصدق ..

فاتهمته واذيت قلبه ..

وطرده من بيتي يا صديقي .. فاصر ان يمكث ثلاثة ايام .. والى الان لا اعرف لماذا طلبها ليقيم في المسجد ..

وبعد ان ذهب مني سعد باسبوع.. جاءني ثلاث رجال ملامحهم غريبة .. لا يبدو عليهم اثر سفر .. ولا غبار طريق ..

فنزلوا عندي ضيوفا" .. فلم اسألهم من اي القوم انتم.. الا في اليوم الثاني .. فقالوا لي ان شربت من شرابنا الذي نعطيك .. سنخبرك من نحن ..

فقلت لهم ان شريتم منه قبلي سأشرب .. فاخرج احدهم قنينة فيها سائل ازرق .. فشرب منه جرعة وابتلعها امامي.. وناولني فشربت منها .. فقال ان كان طعمها طيب فأكملها.. فأكملتها لانها كانت من اطيب ما ذوقت من الشراب ..

فقال لي احدهم هل لك ابنة مريضة تقول انها ترى اشياء؟

فقلت له نعم .. قال وانت تصدقها ام تكذبها .؟؟ فقلت له لم نصدقها لاننا لانرى ماتري.. فنقول لها انه يخيل اليك ..

فقال لي من الان سوف تعلم .. هل هي ترى فعلا .. ام انها تتخيل ..

ونحن سنذهب .. فقلت له لقد شربت الشراب ولم تخبروني من انتم فقال نخبرك باسماءنا فحسب.. وهذا مايسمح لنا به .. هذا زايد وهذا زياد.. وكان الذي يتكلم معي هذا يقال له كعب الاكبر .. ابناء عبدالجليل .. فلم اعرف أباهم ولاقبيلتهم .. وهنا عرفت انهم ابناء الملك عبدالجليل الذي اخبرني به سعد ولم اصدق ..

فلما سلكو الطريق غابو بسرعة لاتصدق .. فبقيت مرابطا في البيت قريبا من ستة ايام.. وانا اراقب غرفة ابنتي .. وكل يوم أسالها هل رايت شئيا فتقول لي لا ..

وفي يوم من الايام.. حط غراب على تلك التلة .. وهو ينظر الى الغرفة.. وانا انظر اليه .. ورايت ابنتي تنظر من النافذة الى الغراب .. وهي ترتعد من الخوف .. فقلت لها مالك يا بنيتي؟؟ ..

قالت .. لاشي يا ابي.. لا شي .. فان قلت لكم لن تصدقوني .. ان الغراب على تلك التلة يا ابتاه انه يراقبني.. انا خائفة يا ابي ..

فقلت لها انا اصدقك يا ابنتي .. انا اصدقك ..

فدخلت امها علينا.. وانا احتضن ابنتي وهي ترتعد كانها اصببت بامطار البرد والثلج من برودة جسدها ..

فقالت لي امها هل عادوتها خيالاتها؟؟ .. قلت لها ليست بخيالات يا زبيدة؟

قالت اذن ماذا يا يوسف؟؟ .. قلت لها انظري الى تلك التلة.. هل تري شيئا؟ فنظرت الام وقالت لارا شيئا" ..

فقلت لها انا وابنتي نرغبا اسودا كبيرا قبيحا ..

ولكن يا ابنتي ان سعد بن ورقة عنده وصية .. قبل ان يسافر.. اذا راي اذا رايت الغراب ان يقول له كلاما .. وانا سأقول له هذا الكلام .. وارى ماذا يحدث ..

فخرجت من غرفة ابنتي.. واتجهت الى الغراب .. ولما اقتربت منه خشيته ان يطير .. فقلت له .. يا ايها المعتدي ان الملك عبدالجليل .. يأمرك ان تفارق الفتاة وتأتيه .. وهو يطلبك ان تأتيه ويقول لك الهامة الهامة ..

فصرخ الغراب .. وقال بصوت كانه طفل .. سمعته اذناي ووعاه قل

بي .. (لن ارجع اليها لن ارجع اليها) ..

ثم طار الغراب وهبط عند باب الغرفة.. وادخل منقاره تحت الارض

واخرج سببية كانت مدفونه واخذها من عند الباب وطار .. فقالت لي ابنتي يا ابي .. انه لن يرجع مرة اخرى .. قلت لها لماذا؟

قالت لي لان الخوف الذي في قلبي ذهب ..

قلت لها هل تستطيعي ان تخرجي؟ قالت لي نعم ساخرج .. قلت لها وحدك؟.. قالت وحدي .. فقلت لها اذن الحقي بي بعد قليل .. في بيتك امك ام الكرام ..

ثم ذهبت انا .. وخرجت الفتاة من غرفتها التي حبست فيها لخمس سنوات

حتى انها لم تستطيع ان تواجه الشمس .. ثم ذهبت وسلمت على اخوانها ابناء امها .. وجاءت الى عند ام الكرام.. فبكينا جميعا فرحا بشفاء ابنتنا .. ودعونا لسعد .. وحكيت لهم جميعا القصة التي حدثتني بها سعد ..

وقلت للفتاة .. لقد اهتمت به زورا وبهتانا ياسلمى .. فان الجني تشبه لك في صورته .. وكلام درة كان حقيقة .. حينما كان الجني معك في الغرفة في صورته .. كان سعد ياكل الطعام في غرفته ..

قالت لي سلمى يا ابي .. وماذا افعل اذا بهذه الندامة؟؟

التي في قلبي .. ياليتها كان موجودا.. فاطلب منه العفو والسماح .. لماذا لاتدعو سعد ان ياتينا فيفرح بما يرى.. ويزيل عبء الندامة من قلبي؟؟

فقلت لها يا ابنتي لا استطيع مواجهته.. فقد جرحناه .. وألما قلبه باتهامنا له .. فوالله ان الحياء منك يقتلني ياسعد ..

فبكى سعد.. وقال له ولا يهملك ياعماه .. فغضبك مبرر .. ولو ان اي احد في مكانك .. لفعل مثلما فعلت ..

ثم التفت يوسف الى ورقة وقال له.. مالي اراك ساكتا يا ابا مرثد .. اما عندك ماتقول ..

فقال ورقة .. والله ماكنت اظن.. ان في يوم من الايام.. ساسمع مثل هذا العجب العجيب.. واصدقه .. فالامر كله بيد الله ..

وقال يوسف .. يا سعد بن ورقة .. ادخلي على امك ام الكرام.. فانها تشتاق اليك .. واذهب الى زبيدة.. وسلم اخوانك وسلم على سلمى واحمد لها الله على شفائها .. فانها تشتاق الى رؤياك وتتمنى مجيئك .. فهي لك متى ما اردت ان تصحبها .. فانا رجل ووعدني نافذ ..

قال ورقة يا يوسف.. ارجوك ان تسمح لي بكلمة مع ابني ..

فقام يوسف وهو يقول لك ذلك يا صديقي ..

فقال ورقة لابنه .. يابني لا ترفض عرض عمك لك.. فاني ارى فيه لك خيرا وفيرا .. واقل شي هو ما أريدك ان تفعله.. اذهب وقابل الفتاة .. وانظر اليها .. فان اعجبتك .. فتعال وقل لي (لم اتعب من السفر) .. وان لم تعجبك فتعال وقل (يا ابي اني متعب من السفر) .. وعلى كل امر تقوله.. اناسأتولى الكلام عنك مع يوسف .. اتفقنا؟ قال له اتفقنا يا ابي ..

فنادى ورقة .. يايوسف هلم .. فجاء ثم قال له ورقة.. هل يدخل الفتى عليهم؟؟

قال فليدخل ..

فقام سعد واستأذن على ام الكرام.. وسلم عليها .. وعلي بقية اخواته الكبار منها

وفرحن به .. وقالت له ام الكرام .. يشهد الله يابني .. اني ادعو الله في كل صلاة ان يردك الينا .. فقد تقطع قلبي بشوقك ..

تتكلم والدموع تملأ عينيها .. امراة فاضله.. في نهاية الستين من عمرها .. وهي اكبر من زوجها بثلاث سنوات ..

تزوجها يوسف وعمره ثمانية عشر عاما ..

وانجب منها اولاده الكبار .. وتزوج زبيدة .. وهي اصغر منه بسبع سنين وهي ام سلمي ..

بعد ان اخذ سعد قسطا من الوقت مع الام الكبيرة..

تحرك في اتجاه الهوى والغرام .. وفي كل خطوة من السبعمئة خطوة .. يزداد قلبه في الخفقان.. حتى كاد ان يخرج من صدره .. واحس ان ارجله تضعف عن المشي .. من هول الحب الذي يتحكم في قلبه ..

فلما دخل وسلم على زبيدة .. وعلى يسارها تجلس تجلس القمر .. سلمى اية الجمال.. وعنوان الفرحة .. كأن الدنيا تغني بجمالها.. وكان الاكوان ترقص امامها ..

فالما رآته تبسمت .. وطأطأت راسها .. مستحبة حياء غير متصنع

.. وسعد نفسه يكاد يدخل في اثوابه من الحياء ..

فقال له زبيدة ان هذه الفتاة لا تسكت عن ذكرك .. وقد ازعجت اسماعنا بالكلام عنك .. فقالت سلمي لامها .. (امي؟؟)

وهي الكلمة الوحيدة التي سمعها منها سعد.. ثم خرج مسرعا .. الى ابيه..وهو يتبسم .. قرأ ابوه على وجهه الفرحة التي تبعث الحب كالعطر في الفضاء ..

فلما وصل جلس بالقرب من ابيه.. ويوسف جالس... قال يوسف هل رايت سلمي ياسعد؟

قال نعم ياعمي.. فقال له هاااه ما رايك؟؟ .. فتبسم سعد وطأطأ راسه ..

فقال ورقة .. اظنه يايوسف متعب من السفر؟؟

قال سعد لاييه .. لا يا ابي والله كأني لم اكن مسافرا .. فاني لا اشعر باي تعب..

فضحك ورقة .. وقال له كيف يتعب من السفر فارس مثلك .. انما نتعب نحن العجائز ..

فقال يوسف التيمي .. واين الريح يا سعد؟؟ والريح هو (فرسه الاسود) مالي اراك تركب هذا الفرس الأدهم؟

قال لي عليك واجب العزاء ياعماه .. فان جوادي الحبيب مات قبل شهر .. فتأثر يوسف على الفرس جدا .. وقال له الخير فيما اختاره الله .. ولكني لا ارضى لك هذا الفرس الادهم .. وساهديك البراق؟

البراق .. هو فرس من سلالة الريح ايضا" ..

فكان الكرم من يوسف التيمي لضيوفه لايوصف ..

قال له ورقة مقاطعا.. جزاك الله خيرا يا صديقي.. فلم تترك شيئا من صنوف الكرم ..

فيا. صديقي الصدوق .. جهز لنا عروسنا .. فاننا لانريد ان نترك حرمتنا وراءنا .. وجهز لها هودجا وناقة صهباء .. فاننا سنعقد قرانها غدا .. ونسوقها معنا.

قال له يوسف وهذا يوم فرحتي يا صديقي .. ولم اكن احلم بان يتزوج سعد بن ورقة بنتي ..

سلمى .. وما ادراك ما سلمى؟ .. فتاة من بني تيم جمال وعراقة. وعروبة صارخة .. لونها كالذهب الاصفر مشربة بحمرة .. اذا تبسمت توردت خدودها .. وكأن اللؤلؤ يضي من ثغرها .. انها الان بلغت الخامسة عشر من عمرها .. ولكن من يراها يظن انها ناهزت العشرين .. في قوام فارغ .. وتربية حسنة ..

كاد الفرح ان يفتك بسعد .. وهو يحاول ان يخفي فرحته .. ولكن عيونه لاتزال تفضحه ..

وبالليل لم يستطيع المنام .. ولما اصبح وجد ان يوسف ذبح النوق ودعا اهل القرية .. بصائح على فرس .. على طعام الغداء.. وعقد قران سلمى على سعد السعيد .. وحلق الفارس في الظهيرة .. وخطف على جواده الاميرة .. وطار بها الى خلف الصحاري الكبيرة .. وانتهت الحكاية الخطيرة ..

لكم التحية والاجلال .. واسعد الله اوقاتكم بكل خير ..

وكتبها محبكم طارق اللبيب ..

في يناير 2018

sudanesenovels.com

شكراً لقراءتك

تابع الفصول الجديدة وروايات أخرى، واقرأ وتابع الكاتب على موقعنا

sudanesenovels.com